البيان

السنة الاولى الجزء الثاني

اول ابريل سنة ١٨٩٧

القوى النفسانية في الاطفال

لا شيء احقُّ بالانسان وأليق بهِ من معرفتهِ حقيقة نفسهِ ولا شيء اكثر امتناعاً عليهِ وابعدُ عن مرامي بصرهِ من ادراك ما وَسِعهُ هيكلهُ من القُوى العجيبة والتراكيب الغريبة ولذلك قالوا الانسان اشياءُ كثيرةٌ فلكثرة ما هو بهِ كثيرٌ يعجز عن ادراك ما هو بهِ واحدٌ. لا جرم أنّ هذا الهيكل العجيب والبناء البديع الذي هو آية الله في خلقهِ مؤلفٌ من دقائق لا يحصيها العدُّ ولا يحيط بها الادراك كلٌّ منها يقوم بعملٍ خاصّ ويستقلُّ بحياةٍ خاصّة ويفعل بالقوى الفاعلة في جميع الاجسام. وهذه الدقائق على كثرتها وتباين اشكالها واختلاف اوضاعها وتنوُّع العناصر المكوَّنة هي منها تنضامُّ فتتكوّن منها الاعضاء وتتكافأ في القيام بما أُرصِدَت لهُ من المنافع التي تضمن لجملتها انتظام الاعمال الحيوية الى الاجل الذي أُتيح لها. فمعرفة الانسان نفسهُ من حيث هو مركَّب على كمال خَلقهِ وتمام خُلُقهِ لا يتهيأُ الاحاطة بها لعاقل لِما يقف دونها من العقبات المنيعة ولا سيما في ما اختص منها بالنفس الناطقة التي هامت العقول في اودية

البحث عنها والتطلع الى غوامض اسرارها فهي المشكلة المعضلة التي ما برح الطبيعيون والفلاسفة والمتكلمون يتجاذبون اطراف حلّها كلٌّ فريق على نحو ما فتح عليهِ مقدار علمهِ وثقوب ذهنهِ

لا جَرَمَ ان النفس البشرية مع ملازمتها لبدن الانسان وحلولها فيهِ من ابتداءِ تكوينهِ انما تُعرَف بالقُوَى التي تصدر عنها والظواهر التي تبديها ونحن انما نبحث عنها الآن بحثًا علميًّا في ابسط احوالها منذ تجليها على هذا الكائن الحيّ وهو جنين في احشاءِ امهِ الى ما بعد ميلادهِ بثلاثة اشهر مقتصرين في ذلك على ما قلّ ودلّ من غير تعرّض للمذاهب الفلسفية والمغالطات الجدلية اذ ليس من غرضنا الجولان في فيافي الخيال ولكننا انما نؤثر تقرير الحقائق العلمية الثابتة ببرهان المعاينة والامتحان

ذهب أرسطو الى ان النفس تظهر في الجنين بعد اربعين يومًا من حملهِ وعليهِ جمهور المتقدمين ومنهم حكماءُ العرب والقديس توما اللاهوتي [1]. ومن الثابت اليوم ان الجنين يتحرك في الاسبوع الثامن حركة رحوية فيتخذ الحبل السُرّيُّ الشكلَ اللولبيَّ والدليل على ان هذا الشكل من حركتهِ ان الحبل المذكور لا يكون كذلك في الكثيرات الاجنة في الحمل الواحد اذ لا يبقى لأَجنّتها مجالٌ للحركة وربما تحرك حركة اختلاج وارتعاش منذ الاسبوع الرابع وهو وقت تكوُّن الاطراف. ولا تشعر الأُمّ بارتكاض الجنين الّا منذ الاسبوع الثامن عشر وهي حركة تزداد بمقدار نمائهِ حتى يولد وربما دلت على بعض المؤثرات الخارجية كالاحساس بالبرد. اما حقيقة هذه الحركات وهل هي صادرة عن غير وجدان او

---

١ زعم ارسطو ان الجنين يكون ذا نفس فى اليوم الاربعين اذا كان ذكراً وفى اليوم الثمانين او التسعين اذا كان انثى وتابعه فى ذلك القديس توما اللاهوتى

هل يجوز ان تظهر قوى النفس قبل الولادة فالباحثون في منافع الاعضآء على انها قَسْرية من حيث طبيعتها منعكسة من حيث مصدرها والمتكلمون يقولون ان الجنين يشعر باللذة والالم ولا ريب في ان ذلك لا يكون الاّ عن وجدان فهو ذو نفس كاملة . ولا نُنكر أن الوجدان موجودٌ حينئذٍ في ابسط احوالهِ وانما هو أثريٌّ يأخذ في النمآء منذ ذلك الحين ولا يزال يزداد ويتكامل بعد الولادة حتى يصير الطفل قادرًا على تمييز نفسهِ عن غيرهِ من الكائنات . وعليهِ يكون مبدأُ القُوَى النفسية الفعل العصبيَّ المنعكس حيث لا يكون للعقل والارادة سلطان ولو كان للحركة الصادرة عنهُ علةٌ غآئية مقصودة اذا لانفعال لا يكون بدون فاعل

ثم ان الجنين يُولد لتمام حملهِ طفلاً لا قِوام لهُ في ذاتهِ لانهُ لا يستطيع ان يستقلَّ بنفسهِ متحركاً حركةً يتوصل بها الى جلب النافع ودفع الضارّ وحواسهُ لا تعينهُ على معرفة الموجودات مما حواليهِ فلا تتطرق بها المحسوسات الى قوى النفس الباطنة وكأنهُ قد أُلقي في تيَّار هذا العالم بين اضطراب امواجهِ وليس لهُ من نفسهِ ما يساعدهُ على العوم فيهِ فاذا لم ترأمهُ أُمُّهُ يهلك . واول ما يبديهِ عند الولادة استهلالهُ بصياحٍ يدل على تألُّمهِ لتغيُّر البيئة عليهِ وملامسة الهوآء جلدهُ ونفوذهِ الى مسالك التنفس حتى اقصى حويصلاتها وتأثير اشعة النور على شبكيتهِ الى غير ذلك مما لم يألفهُ من قبل . وكأن المولود ينعر لساعتهِ من وحشةٍ يجدها لفراق وطنهِ الذي كان فيهِ او كأنهُ يشكو ضعفهُ في تنازع البقآء ومغالبة الطبائع وفي ذلك مجالٌ ينفسح فيهِ القول للفلاسفة والشعرآء بالحِكَم وما احسن قول ابن جريج الرومي وقد ذكر هذه الحالة وما تأوَّل به من لطيف الحكمة

لِما تُؤذِن الدنيا بهِ من صروفها يكون بكآء الطفل ساعة يُوضَعُ

والاّ فما يُبكيهِ منها وانها لأفسحُ مما كان فيهِ واوسعُ
اذا عاينَ الدنيا استهلَّ كأنهُ بما سوف يلقى من أذاها يُفزَّعُ (١)

ثم انهُ يكون في بدآءة هذا الطَوْر من حياتهِ قاصرًا همهُ على الغذآء والنوم فلا يظهر من آثار قُوَى النفس حينئذٍ الاّ الاعمال التي يسميها علماء المنافع بالمنعكسة والفلاسفة بالقُوَى البهيمية او الشَّهوية · على ان حاسة اللمس تكون موجودة لان الجُسَيات والالياف العصبية تتكوَّن في الشهر الخامس من الحمل وتنمي نمآءً سريعًا فيبلغ وزن الدماغ عند الولادة ٣٨١ غرامًا وفي السنة الاولى بعد الولادة ٩٤٥ غرامًا وتظهر تلافيف الدماغ في الجنين منذ الاسبوع العشرين وتزداد غورًا وامتدادًا بتقدم العمر ومنذ ذلك الوقت تتعين المراكز العصبية التي ترد اليها المؤثرات الخارجية وتصدر عنها الحركات المتساوقة · ولذلك كان مبدأُ القُوَى النفسية ورسمها ظاهرًا منذ الولادة لما هو معلوم من ان اعمال العقل لا تقوم الاّ بالمجموع العصبي فقول علمآء المنافع انها موقوفة على حركة الدقائق العصبية غير سديد لان بين حركة الدقائق والوجدان بونًا سحيقًا

ومعلومٌ ان الانسان في مبدأ الفطرة خالٍ من تحقق الاشيآء الاّ انهُ مجهزٌ بآلاتٍ يُدرِك بها كيفياتها بما بينها من المناسبات والمباينات فينتزع المعلومات الصادقة المحقَّقة · وهذه الآلات هي الحواسّ الخمس التي تنقل المحسوسات الى الحسّ المشترَك فيعرضها على القُوَى العقلية حيث يقع الادراك والتمييز والحكم والارادة وتصدر الافعال المحركة وغيرها · ولكلٍ من هذه القُوَى مقرٌّ خاصٌّ في الدماغ يتعين

---

(١) وتروى هذه الابيات بثلاث قواف غير هذه قيل فى الاولى منها يولد وفى الثانية ارغد وفى الثالثة يهدد فيكون فيها على هذا نوع التخيير المشهور عند اهل البديع

بعد الولادة اذ لا سبيل قبلها للتأثر بالمحسوسات الخارجية فقد ثبت ان الحيوانات التي تولَد عمياً كالكلاب لا يتعين مقرُّ القوَّة المحركة في قشرة ادمغتها الاّ بعد ان تبصر بثلاثة ايام فالحركات التي تبديها قبل ذلك انما تكون منعكسة مصدرها النخاع المستطيل لا الدماغ لانها غير خاضعة للارادة خلافاً للحيوانات التي تولَد مُبصِرةً كالخنزير والقنفذ فان حركاتها تكون ارادية صادرةً عن مقرٍّ معين في الدماغ ينشأُ حين الولادة باقتضاء المنفعة المترتبة عليهِ كما هو الحال في الاعضاء التي يتوقف وجودها على عمل تنفعل بهِ اذ تكون المنفعة هي العلة الفاعلة في التكوين . ولا ينكر أنّ للإِرث شأناً في ذلك فأن العضو يتهيأُ بواسطتهِ للعمل قبل ان يقع على الحيوان تأثيرٌ من الخارج

واللمس هو اول الحواسّ منشأً واعظمها للحيوان نفعاً وكثيرٌ من الحيوانات السافلة ليس لها من الحواس غيره . على انهُ يظهر في النوع الانساني في الشهر الخامس من الحياة الجنينية ويكون أثريَّاً غير منتظم الى ما بعد الولادة بشهرين فيصير حينئذٍ وسيلةً لادراك اول ما يتهيأ للاطفال ادراكهُ من المحسوسات الخارجية

وينشأ الذوق على اثر نشوءِ اللمس لان الحاجة ماسةٌ اليهِ منذ الولادة فاذا أُدخلت حينئذٍ اصبعٌ الى فمِ المولود مصها كأَنهُ يحاول الرضاع ثم يتبرّم من ذلك بعد ايام كأنهُ قد شعر بالفرق بين الوهم والحقيقة . واذا أُعطي لبن البقرة غير محلًّى بقليل من السكَّر مجَّهُ وذلك دليل على سرعة نماءِ هذه الحاسة فيه . وبعد قليل يظهر تعلّقهُ بمرضعهِ واذا اتى عليهِ شهران منذ ولادتهِ لم يعد يطيق استبدالها وليس الامر كذلك من قبل . على ان هذه الحاسة تجلب للطفل لذةً لا تجلبها حاسةٌ اخرى في بدءِ امرهِ

والشمّ انما ينشأُ بعد نشوءِ الذوق بمدة ٍ فهو متمٌّ لهُ اذ يكون وسيلةً لمعرفة الطفل بمرضعهِ بعد شهرين من ولادتهِ وقد رُوِيَ انهُ كان لداروين طفلٌ يستروح امهُ عن بعد ٨٠ ميليمترًا فيحدّق ببصرهِ اليها و يحرّك شفتيهِ طلبًا للرضاع

ومعلومٌ ان طفل الانسان يُولَد غير مغمض العينين فاذا عُرّض للنور عند ولادتهِ انقبضت حدقتاهُ وطرف بجفنيهِ وهو دليلٌ على تأثر الشبكية ولكنهُ في الحقيقة لا يبصر لان مقرَّ البصر في الدماغ لا يتعين حينئذٍ وانما يتعين بعد الممارسة والتكرار وألفة الاشياءَ المُبصرة على التدريج حتى تظهر قوة التنبه عند نهاية الشهر الاول بعد الولادة · ولا مراءَ في ان حاسة البصر هي رائد العقل في ادراك المحسوسات لانها الوسيلة لادراك الابعاد ومعرفة السطوح ولايتهيأ ذلك الاّ في الشهر الثاني وهي تشترك مع حاسة اللمس في تمهيد السبيل لمعرفة الطفل باستقلال جسدهِ عن الاجسام حواليهِ

اما حاسة السمع فتظهر في الطفل بعد ثلاثة ايام من ولادتهِ بدليل انهُ يصيخ للمناغاة ويثور جاشهُ بالصخب على انها اقلُّ نماءً من حاسة البصر لاقتصارها على معرفة الاصوات

وهنالك قوًى نفسانية أُخر تظهر في الاطفال منذ نشأتهم مصدرها الفطرة وغايتها المحافظة على البقاءَ وليس لها علاقة بالوجدان ولكنها تنتقل اليهم بطريقة الإرث الطبيعي وقد سميت بالخُلق والسليقة والغريزة وسماها الحكماءُ بالقُوَى الشهويّة والبهيمية ومن خصائصها التماس المنافع ودرءُ المضارّ · ومنها التنفس وهو اول تباشير الحياة يظهر حال الولادة اذ يباشر الهواءُ جسم الطفل · والنوم ويترجح حدوثهُ قبل الولادة فيعلل بهِ عن الفترة في حركات الجنين وهو لا يستوقف قوى النفس لان بعض الاطفال تظهر عليهم ابتسامةٌ في النوم كانهم يرون رُؤًى

مفرحة وبعضهم يحركون شفاههم للرضاع واحياناً تُرَى المقلة تتحرك تحت الجفون الوَسنى . والغالب على الاطفال النوم كثيراً ولا سيما في النهار حتى يبلغوا اليوم العشرين من ولادتهم فيقلُّ بالتدريج بعد ذلك . ومنها الخوف وهو في الاطفال مسببٌ عن امور لا يكترث لها غيرهم كالقماط والغسل . والبكآء وهو لا يكون الاّ بعد نشوء الغدد الدمعية عقيب الولادة بعشرين يوماً وما كان قبل ذلك فهو صياح وصراخ . والابتسام وهو لا يكون قبل الشهر الاول . والضحك وهو لا يظهر الاّ بعد نهاية الشهر الثاني الى غير ذلك

والطفل يبقى في اول اطوار الحياة مدةً تحت مَلَكة الافعال العصبية المنعكسة واحكام الغريزة لا يُدرك من حقيقتهِ ما يعرف بهِ ذاتيتهُ ولا يميز بين جسمٍ وآخر فعمل حواسهِ أثريٌّ ووجدانهُ مفقود الى ان يصير قادراً على تحقق بُعد الاجسام واختلاف سطوحها بواسطة البصر وذلك لا يتأتى لهُ الاّ عند نهاية الشهر الثاني من ولادتهِ . ويُستدَلُّ عليهِ في الاسبوع السادس بعد الولادة بحركةٍ ارادية تظهر بتوجيه الطفل رأسهُ نحو أُمّهِ اذا سمع صوتها فيتعلم ثمت ان يوجه عينيهِ نحو الاشيآء المرئية ويمرُن على ذلك الى ان يصير قادراً على تسديد بصرهِ فتظهر حينئذٍ علامات التنبُّه في بدء نشأتهِ

ويصاحب نمآء حاسة البصر على ما تقدم ارتقآء حاسة اللمس فالطفل في بدء حياتهِ يمسك الشيء الذي يوضع في راحتهِ بدون وجدان فانقباض يدهِ حينئذٍ انما هو فعلٌ عصبيٌّ منعكس غير خاضع للارادة ثم يصير بتكرار التجربة والممارسة عملاً ارادياً يصاحبهُ نموُّ الحِسّ العضلي فتظهر الحركات العضلية المتساوقة

ومتى بلغ الطفل الشهر الثالث من عمرهِ قويت حواسهُ على تحقق المحسوسات وخضعت الافعال العصبية المنعكسة لسلطان العقل والارادة وانفتحت

لهُ ابواب الهداية بما يُعرَض عليهِ من المؤثرات التي يستفيد منها العلم بما يكون نافعًا او ضارًّا فيألف النافع وينفر من الضار ولا تزال القوى العقلية تنمي بالممارسة والاكتساب طورًا فطورًا والاستعداد الطبيعي يمهد امامها سُبُل الارتقاء حتى تبلغ الشأوَ العجيب · ومن الغريب ان الانسان في بدء امرهِ ينسى كثيرًا من الحوادث والآثار التي ترد عليهِ فلا يحفظ منها الاّ ما كان مفيدًا لهُ في امر تنازع البقاء ولذلك كانت الذاكرة ضعيفة في اول العمر

ومعلومٌ ان هذه القوى تكون في الحيوانات غريزية في اصل فطرتها فالفراخ مثلاً تلتقط الحب حالما تنقف وأجراء الكلاب تمشي عند ما تولد والمهر يستوي على قوائمهِ حينئذٍ والقرد يتسلق الاشجار بخفة منذ ولادتهِ · ولكن ذلك فيها يقف عند درجة القوَّة البهيمية فلا يتعداها الى القوى السامية المميزة للانسان وهي التي تدخل تحت الارادة والعقل و تأخذ في النماء والارتقاء منذ اول اطوار حياتهِ على ما تقدم بيانهُ حتى تبلغ فيهِ الى درجة الكمال

المصريون

(تابع لما قبل)

والقبط من حيث المذهب ينقسمون اليوم الى ثلاث فِرَق ارثوذكس وانجيليين وكاثوليك والارثوذكس هم اقدمهم عهدًا واكثرهم عددًا[1] واشدُّهم

---

١ زعم بعضهم ان القبط يبلغون الان ٧٠٠،٠٠٠ فاكثر ولم نقف على ما يثبت هذا القول فى احصاء يعتمد عليه والذى تحققناه على ما فى المؤلفات الموثوق بها انهم لا يزيدون على ١٥٠،٠٠٠ كما تقدم لنا ذكره (راجع موسوعات العلوم الفرنساوية الكبيرة فى لفظة « كنيسة القبط » صفحة ٦٢٦ من المجلد ١٥) الا ان فلاماريون ذكر فى معجمه الجارى الان طبعه انهم يبلغون ١٦٠،٠٠٠ وعلى كل حال فالحقيقة

اعتصاماً بالعقائد المسيحية على ما كانت عليهِ الى المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ من المبالغة في التورُّع والقنوت وتطويل العبادات . وقد نبغ في الكنيسة الاسكندرية التي ينتسب اليها بطاركتهم رجالٌ لم تزل آثارهم ومؤلفاتهم تشهد بما كان لهم من الفضل والحكمة ولا سيما في القرن الثالث الى آخر الخامس ولا غرو فان مدرسة الاسكندرية كانت نبراس الفلسفة المشرقية الذي استضآءوا بنورهِ وانارو العالم الى ان خبا بهبوب ريح المماحكات في العقائد المذهبية وما انضمَّ الى ذلك من اسباب المشاحّات والمنافسات بين رجال الدين ولا سيما بعد ان رُفع اسقف بزنطية الى مقام بطرك مسكوني بانتقال كرسي القياصرة اليها حتى آل الحال الى الشقاق والانقسام فاستقلت البطركية الاسكندرية ولبثت محافظة على لقب الكنيسة المرقسية وجعلت كرسيها القاهرة . وكانت الحبشة تابعة لها فكان البطرك ينصب رئيس كهنتهـا الذي يسمونهُ « ابونا » وبقي الامر على ذلك الى القرن السادس عشر . ومن ذلك يُعلَم ان الرابطة الدينية بين الحبشة والقبط موثَّقة العُرَى لم يُضعِف استحكامها الا انحطاط رجال الدين من هذه الطائفة فانهم لو اقتفوا آثار الصلحآء من اسلافهم وحافظوا على تقاليدهم القديمة لكانت الأمّتان أُمّةً واحدة لا يصدُّها عن الجدّ في سبيل الحضارة الاّ تفرق الكلمة وعدم اكتراث الرؤسآء بتحصيل العلوم التي يتوقف عليها نجاح الأُمّة وارتقآء شأنهـا

وقد نشط فريقٌ من نخبة رجال هذه الطائفة وأفاضلها لتدارُك تلك الحال والنهوض بالأُمّة الى مجاراة غيرها من الأُمم السائرة في سبيل التمدُّن العصريّ فأنشأوا جمعية في القاهرة سموها بالجمعية التوفيقية وجعلوا لها فروعاً في

لا يقطع بها الا بعد ظهور الاحصاء الذى شرعت فيه الحكومة ولعل موعدنا به قريب ان شاء الله

سائر انحآء القطر وانحاز اليها المتأدبون وارباب الحميّة والالمعيّة من كل صوب مستمسكين بعروة الاتحاد الوثق متوسلين الى اقامة الأَوَد وتعميم التهذيب بانشآء المدارس والالحاح في وجوب تعليم رجال الدين وتثقيف عقول الإناث . وعلى كون هذه اول خطوةٍ لهم في هذا السبيل فمع ما شوهد فيهم من المواظبة والثبات في طلب التقدم ومع ما هو متوفرٌ لهم من الذرائع المبلّغة الى نيل تلك الاماني على اتمّ وجوهها فالمأمول انهم لا يمضي عليهم طويل زمنٍ حتى يصلوا الى المنزلة التي يتقاضاهم العصر بلوغها و يسرّهم ان يصفهم بها الواصفون

وأمّا الفلاحون ويقال لهم العرب وانما هم في الحقيقة اخلاط من القبط الذين اسلموا والعرب الذين استولوا على البلاد منذ ايام عمرو بن العاص فسحناتهم مصرية وان كانت لغتهم عربية وآدابهم اسلامية . ويكفي لثبوت ذلك مقابلتهم بصور قدمآء المصريين فيُرَى ان شكل القحف غير مستدير كما هو في العرب ولكنهُ مستطيل قليلاً كما في المومياآء والجبهة غير عريضة والشخوص الوجهي كما هو في القبط وكذلك العينان فهما نجلاوان والفم فهو باسم غليظ الشفتين والمنكبان عريضان والاطراف مسطحة مرتبطة بقوائم نحيفة كما هو الحال في التماثيل القديمة . ومدلول ذلك ان اختلاط العرب بالقبط كان كاختلاط اليونان والرومان بهم ضعيف التأثير ومثل ذلك اختلاط الكرد والترك وغيرهم بهم في الازمنة المتأخرة كأنّ العنصر الاصليّ اكثر ملآءمة لأَثر الأحداث الطبيعية فهو يتفق مع تأثير الاقليم في اهتضام العناصر الاخرى متغلباً عليها على تراخي السنين ولذلك كان الفرق بين القبط والفلاحين مقصوراً على الحالة الاجتماعية واكثره صادرٌ عن اختلاف الدين . اما من حيث الخصائص الطبيعية فلا فرق بينهم فيها يُعتدُّ بهِ مع ما عرض على الفلاحين من اسباب الاختلاط وثبوت القبط مستقلين

بخصائصهم لانحصارهم في شؤُونهم الطائفية واستمرارهم على عوائدهم الاصلية · ولا عبرة باللون في التميز بين سُلالة واخرى ما لم يكن مضافاً الى غيرهِ من الخصائص الطبيعية اللازمة غير العارضة بسبب امر خارجي فلون الفلاحين يزداد سمرةً بمقدار ما يقتربون الى الجنوب وهو يكون في الاسكندرانيين اغثر وفي سكان مصر الوسطى اصحم وفي اهل الصعيد آدم وفي المنتشرين على حدود نوبيا اسحم · ومعلوم ان اللون يتوقف على نوعية المعيشة فالذين يصرفون حياتهم بالشغل في حر النهار تحت اشعة الشمس يكون لونهم ادكن بخلاف الذين يعيشون بالرخآء في ظلال البيوت والاسواق والمساجد فلونهم يكون اصفى وانقى وما احسن ما قال المتنبي

تسوّد الشمس منا بيض اوجهنا ‌ ‌ ولا تسوّد بيض العُذرِ واللِمَمَ
وكان حالهما في الحكم واحدةً ‌ ‌ لواحتكمنا من الدنيا الى حَكَمِ

ونسآء الفلاّحين رشيقات القوام عليهنَّ لمحة من الجمال ولكن العواطف قلما يظهر تأثيرها على ملامحهنَّ مع دَعَج عيونهنَّ · على ان جمالهنَّ لا يثبت الاّ قليلاً فهنَّ ينمينَ بسرعة ويبلغنَ في الثانية عشرة من عمرهنَّ ويلدنَ كثيرًا فاذا بلغنَ العشرين ذوت نضارتهنَّ وجفَّ مآء الحسن من وجوههنَّ وتقعست صدورهنَّ حتى يخيَّل ان عمرهنَّ حينئذٍ خمسٌ واربعون ولذلك فكثيرًا ما يتعمدنَ التمويه وما يُصلِح العطار ما افسد الدهر · ومن الغريب ان اطفالهنَّ يُخلَقون نحافاً مهازيل كأَنهم لم يولدوا ليعيشوا وتظهر عليهم في الطَور الاول من اطوار الحياة علامات الكُساح من ضعف البنية واسترخآء البطن وكبرهِ فكثيرًا ما يهلكون صغارًا لعدم الاعتنآء بهم الا الذين أُتيح لهم الفوز في مغالبة الامراض فان احوالهم تستقيم في طور البلوغ فتنمي اطرافهم وتتبدل ملامحهم فتبدو عليها

امائر القوّة والرجولية في الفتيان واللطف والاعتدال في الفتيات

ومعلوم ان الامة المصرية لهذا العهد يتألف معظمها من الفلاحين وعددهم



غير معروف بالضبط والتدقيق لانهُ لم يوجد حتى الآن احصآء يصحّ الاعتماد عليهِ الاّ الاحصآء الذي أُجري سنة ١٨٨٢ وقد بلغ مجمل سكان القطر بموجبهِ ٦,٨١٨,٠٠٠ واقلُّ ما يقال فيه انهُ صار متقادم العهد ولا سيما بعد طروء الاحداث المهمة في القطر منذ ذلك التاريخ فضلاً عما وجد فيهِ حينئذٍ من الخلل اذ ثبت عند جمع الرديف في احدى المديريات

ان ٤٢,٣٠٧ اشخاص لم يقيدوا في سجلاّت الولادة وان ادارة الصحة في مديرية

الغربية تحرَّت في احدى السنين سجلّ المواليد فوجدت ان ٨٫٠٠٠ طفل لم تقيد اسماؤهم فيهِ فما ادرى الحكومة المصرية مع حرصها على الاصلاح وايثارها حسن النظام والضبط باجرآء احصآء[1] يتكفل ببيان الحقيقة لما يترتب عليهِ من الفوائد. والحاصل ان الاحصآء المذكور يؤخذ بهِ على علاَّتهِ بوجه التقريب واذا أُخذت مساحة الارض التي يشغلها السكان وقُسمت عليهم حصل لكل ١٧٨ نفساً كيلومتر مربع وذلك ما لم يبلغهُ محل في جميع ممالك اوربا

والمصريون من حيث المدنية اخوان في الدين متساوون في الحقوق يأتمرون باوامر الشريعة الاسلامية التي هي شريعة البلاد وينتهون بنواهيها ويحترمون أئمتهم وعلمآءهم و يحفظون القرآن والسُنّة وعندهم العصبية ولكنهم ليسوا بمتعصبين كغيرهم ممن اعماهم الجهل واصمتهم الغباوة لطفآء المحاضرة على دماثة اخلاق ولين عريكة كرام في ضيافاتهم سريعو التودد اذكيآء الخاطر يضرب المثل بهم في البداهة وسرعة الجواب وفي طباعهم الميل الى الدعة والسكون والقناعة والاعراض عن النظر في العواقب والاستسلام لحكم القضآء والقدر على نحو ما قال الشاعر

جرى قلم القضآء بما يكونُ فسيّان التحرُّكُ والسكونُ
جنونٌ منكَ ان تسعى لرزقٍ ويُرزَق في غشاوتهِ الجنينُ

وقد اكثر المتكلمون في الطبائع من الكلام على الطلاق وتعدد الزوجات فاثبتوا انهما من دواعي ضعف الشرقيين حسًّا ومعنى وأطالوا في امتهان الشرقيين نسآءهم ومنعهنَّ من التعليم والتهذيب ومعاملتهنَّ كالحيوانات على زعمهم الى غير

---

١ بلغنا بعد جمع هذه المقالة ان الحكومة قد شرعت فى احصاء سكان القطر فعسى ان يكون هذا الاحصاء الجديد بالغاً غايته من الدقة والضبط

ذلك مما لا يصحّ اطلاقهُ ولا يخلو من المبالغة · على ان كثيرين من افاضل مصر وسوريا لايؤثرون كثرة الزوجات على الزوجة الواحدة ويكرهون الطلاق ويعاملون نسآءهم بالحسنى ولا يمنعون بناتهم وسائل العلم والتهذيب

وقد غلب على اصحاب الوجاهة والثروة من المصريين تحدّي العوائد الغربية في الملبس والماكل والمفرش والزيارة والعيادة وتعليم الاولاد حتى نبذوا لغتهم العربية واهملوها فما افادوا ولا استفادوا الا قليلاً · ومن العجب ان فريقًا منهم مع اعتصامهم بعروة الدين الاسلامي لا يقرأون كتب الشرع العربي ولكنهم يتعلمون ما سمي بعلم الحقوق باللغة الفرنسوية طمعًا في الحصول على الشهادة المدرسية التي يقتضيها قانون الحكومة فلا يُسمَح بدونها لايٍّ كان ان يُقبَل في المحاكم وكيلاً عن المدعي او المدعى عليهِ فلو احسنت الحكومة ترتيب المدارس على وجهٍ يكفل للطلبة بالنجاح المقصود لكانت في غنى عن خسارة رجالها الذين ربّتهم لينتفع غيرها بهم فان الذي ينشأ في فرنسا مثلاً يكون فرنسويًّا والذي ينشأ في المانيا يكون المانيًّا والذي ينشأ في انكلترا يكون انكليزيًّا ومصلحة الوطن لا تقوم بشيءٍ من هذا · واعجب من ذلك ان ادارة المعارف موكولة الى من لا يحسن معرفة لغة هذا القطر الذي ما برح الى هذا العهد حِمَى اللغة العربية الوحيد ومنتجع آمال مريديها من مفيد ومستفيد ولنا على ذلك كلام نرجئ الافاضة فيهِ الى غير هذا الموضع · وقد رأينا ان نشوء هذه العوائد واردٌ من قبيل نفوذ الاوربيين وتدخلهم في المصالح الادارية والسياسية · واما رجال الدين والتجار والعامة فلم يزالوا محافظين على عوائدهم القديمة عملاً بالشريعة والتقليد وزيهم معروف والعلمآء يمتازون بالعمائم البيض والاشراف بالعمائم الخضر · واصحاب المناصب والموظفون في الحكومة كلهم يتزيون بالزيّ الافرنجي ولكنهُ

يترتب عليهم ان يلبسوا الطربوش ولو كانوا من الاجانب وفي الرسميات ان يتزيَّوا بما يُعرَف بالاستنبولينا اقتدآءً بالحضرة الخديوية الفخيمة الحريصة على المحافظة على الشعار العثماني

ومن عوائد المصريين واخلاقهم انهم ميّالون الى اللهو والطرب يؤثرون الغنآء وسماع الالحان الشجية الرفيعة النغم على سماع الموسيقى الاوربية ولهم في هذا الفن تصرف واسع فربما ابتكر المطرب صوتاً يُحفَظ عنهُ فينتشر في البلاد ويعم استعمالهُ فيشدو بهِ الرائح والغادي والملّاح والحادي فكأَن هذا الميل فيهم طبيعي يظهر في سكناتهم لتنبيه عواطفهم وفي حركاتهم للحث على العمل فتراهم في الموالد والاعياد والاعراس والولائم والملاهي ومحالّ القهوة يتجمعون زرافات زرافات لسماع الغناء على نغم الاوتار وفي شهر الصوم ينشدون الذكر حتى ان البياعين المتنقلين يطوفون الاسواق والشوارع وهم ينادون على الايقاع للاقبال على الشرآء والفعلة تحت الاحمال الثقيلة يتراسلون التلحين كانهم يخففون بهِ وقرًا على كواهلهم . ومنها انهم مولعون بقهوة البن الا أن بعضهم يستعمل الحشيش تدخيناً وهو شرّ المسكرات لانهُ يؤَدي الى الخمول وضعف العقل وموت الوجدان وبالتالي الى انحطاط الحالة المدنية

وقد أطلنا في هذا الباب فنقف منهُ عند هذا القدر خشية الملال ولعلّنا نعود الى توفيتهِ حقَّهُ في فرصةٍ اخرى ان شآء الله تعالى



مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

المطلب الثاني في المربين

فصلٌ
في الابوين

كل من طالع ما وصل الينا من كتب التعليم العربية جاز لهُ ان يجزم بأن مصنفيها كانوا عُزَّابًا وانهم انما صنفوها لتعليم عزَّابٍ مثلهم لانهُ لا يكاد يرى فيها شيئًا من امر تعليم الآباء والامهات فنّ تربية الاولاد مع ان هذا الفنّ من اهمّ ما يجب عليهم تعليمهُ وتعلمهُ . ونحن اذا تأملنا في ما قيل لنا عن سعة معارف الاقدمين من مصنّفي العرب وانهم لم يتركوا علمًا ولا فنًّا معروفًا في ايامهم الّا صنّفوا فيهِ مصنفاتٍ عديدة وجدنا اغفالهم هذا الفنّ عجيبًا

واعجب منهُ ان نرى الناس في ايامنا هذهِ مع شدّة انصبابهم وهم شبّانٌ على تعلم لغات الافرنج وتهافتهم على قرآءة ما فيها من القصص الملفقة وتعريب اكثرها لا يطالعون ولا يعرّبون شيئًا يفيدهم اذا صاروا آباءً وهذا مع ان حياة الاولاد الذين عساهم ان يولدوا لهم او موتهم ورشادهم او غيّهم كل ذلك موقوفٌ على كيفية تربيتهم

فلو ان احدًا من الناس اقدم مثلًا على تعاطي التجارة وهو لا يدري من علم الحساب ومسك الدفاتر شيئًا لاستحمقناهُ وترقبنا ان تكون عاقبة تجارتهِ وبالًا عليهِ . ولو رأينا جارنا الحجّام قد نصب نفسهُ طبيبًا او جرّاحًا من قبل ان يتعلّم الطبّ او التشريح لتعجّبنا من جرأتهِ ورثينا لحال المرضى الذين يُعمَل فيهم

مباضعهُ . لكننا ان رأينا ابًا ينصب نفسهُ لتربية اولادهِ ويسنّ سننًا ويشترع شرائع تجري احكامها على ابدانهم واذهانهم واخلاقهم وهو لا يدري شيئًا من امر قوانين الصحّة وتخريج العقل وتقويم السيرة لم نتعجب من تهوّرهِ ولا رثينا لحال اولادهِ المساكين الذين اقدم على تربيتهم وهو على هذهِ الحال

ألسنا نرى كل يوم ان عددًا وافرًا من الاولاد يموتون بسبب جهل والديهم بأبسط قوانين الصحّة وان الذين ينجون من الموت منهم فانما يعيشون مساقيم ضعفاء البنية عاجزين عن احتمال أيسر المشاقّ محرومين التمتع بملء الهناء قاصرين عن ادراك كثيرٍ من الاوطار والاماني التي يدركها اترابهم وكانوا جديرين بادراكها كغيرهم لو لا ما فاتهم من قوّتهم وصحة ابدانهم

وان رأى الابوان ان ولدهما قصيعٌ او ممراضٌ قالا هذا رزءٌ ابتُلينا بهِ ونسباهُ الى سوء بختهما وكان الوجه ان ينسباهُ الى سوء تدبيرهما لانهُ ما من معلول طبيعيٍّ الّا ولهُ علّةٌ طبيعيةٌ وعلّة سقم ولدهما في اغلب الامر جهلهما بتربيتهِ . ولو قال لهما الطبيب ان وحيدهما قد هلك لعدم معرفتهما بمداراة صحتهِ فايّة تعزيةٍ لهما في ان الاب منهما قد قرأ مثلاً كتاب الاغاني من الدفّة الى الدفّة وفي ان الامّ منهما قد تفرنست على جهل منها بالفرنسوية الحقيقية

نعم ان بعض امراض الاولاد موروثةٌ كبعض مناقبهم وشوائبهم فلا يمكن شفاؤها بمجرّد المداراة والتمريض الّا أن اكثرها مسببٌ عن جهل ابوَي الولد بتربية بدنهِ فهما لهذه العلّة مُطالَبان بالتباعة لانهما لما اقترنا بعقد الزواج تعاهدا بالتضمين حتى لا نقول بالتصريح ان يحسِنا القيام على تربية مَن عساهُ ان يولد لهما من الاولاد لكنهما تقاعدا او كسلا او عجزا عن تعلُّم ما من شأنهِ ان يمكّنهما من الوفاء بما ضمنا . فجهلهما بابسط قوانين التربية واصولها ذنبٌ لا يُغتفَر

اذ عنهُ تنشأ اكثر اوامرهما ونواهيهما وسننهما وشرائعهما السخيفة التي تهدم يوماً فيوماً وساعةً فساعةً بنية اولادهما بل اولاد اولادهما ايضاً

هذا من قبيل تربية البدن واما تربية الذهن اي اعانة الطبيعة على شحذهِ وارهافهِ فانت خبيرٌ بان ذلك لا يكون كيفما جرى واتفق بل بمقتضى نواميس طبيعية لا ينبغي ان يجهل الابوان مبادئها على الاقلّ لان كل والدٍ يجهلها لا يصلح لاعانة الطبيعة على اتمام فعلها بل كثيرًا ما يعاندها . وسيجيء بعد هذا ان الولد يتخرج ذهنهُ اول ما يتخرج بما يعيهِ شيئاً فشيئاً من تلقاء نفسهِ وتتنبه لهُ فطنته عفواً من الخواطر البسيطة والمعاني المفردة حتى اذا اجتمع لهُ طائفةٌ متجانسة منها في شيءٍ بعينهِ تدرّع بها الى معرفة ذلك الشيء بمقدار ما يستطيع . فمن واجبات ابويهِ اذًا ان يسهّلا لذهنهِ تحصيل تلك الخواطر والمعاني وذلك بان يُعدّا لهُ يوماً فيوماً من الاشياء والامور التي تقع تحت حواسهِ ما تتنبّه لهُ فطنتهُ ويفهم بعض امرهِ بسهولةٍ حتى اذا ادرك شيئاً من كنههِ بالخبرة والمعاينة والملابسة بنفسهِ انتقش معناهُ في لوح ذهنهِ . فان كان الابوان نفسهما يجهلان كيف تتولّد المعاني المفردة في ذهن ولدهما وكيف تخطر الخواطر البسيطة في جنانهِ اول ما تخطر لم يصلحا لاعانة الطبيعة على تنوير بصيرتهِ

اما جهل الابوين بما يتعلق بتقويم سيرة الولد وتهذيب اخلاقهِ فلا ينقص عن جهلهما بما يتعلق بتربية بدنهِ وانارة ذهنهِ حتى لا نقول انهُ يزيد عليهِ . انظر الى هذين الوالدين الحديثي السنّ فان الاب منهما كان قبل اقترانهِ بالامّ يتعلّم من قواعد العلوم الفلسفيّة ما لا يكاد يفهمهُ او ما لا يجديهِ نفعاً كبيرًا ان فهمهُ لكنّهُ لم يتعلم شيئاً ممــا عساهُ اذا تزوّج ووُلد لهُ ولدٌ ان يَقِفهُ على ما يجب عليهِ فعلهُ في تقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ . ثم لمّا خرج من المدرسة قضى

المدة التي مرّت بين خروجهِ منها وزواجهِ في اللهو والتردد على الملاعب واهمل كل شيءٍ يَفقهُ على واجبات الابوّة . وكذلك الامّ منهما فانها كانت قبل زواجها تتعلّم التطريز ولغات الاعاجم ثم قضت المدة التي مضت بين خروجها من المدرسة وزواجها في زيارة اترابها او العزف على البيانو او تطريز ما لا حاجة بها اليهِ او قرآءة القصص الملفَّقة بلغات الافرنج بحيث لا تغادر منها سوى القصص التي موضوعها التربية لكنّها لم تلتفت اقل التفاتٍ الى واجبات الامومة التي هي صائرةٌ اليها ولم تُهيّئ لذلك نفسها ولم يُهيِّئها لهُ احدٌ فلمّا اقترنت ببعلها ورزقهما الله اولادًا وشعرا بما أُلقي على كاهليهما من عبءِ تربيتهم

عَيَّا بأمرهمِ كما عَيَّتْ ببيضتها النعامَه

فحارا في ذلك وطاش لبّهما منهُ لقلّة استعدادهما لهُ وأقبلا يتعرّضان لامورٍ لا يليق ان يتعرّض لها سوى الماهر الخبير ويأمران وينهيان بما ليس من فنهما حتى يُكسبا الولد بذلك من العُرام والشكاسة ما لا يلبث آخر الامر ان يجعلهما مثلهُ في التبرُّم وسوء الخُلق الى حدٍّ يذهب بما كان لهما في قلب الولد من المحبة . ثم انهما كثيرًا ما يجرّئانهِ على افعالٍ يزيّنها لهما الهوى او الجهل حتى يزعما انها حسنةٌ من غير ان يعنيا انفسهما بالبحث عن الاسباب التي حدتهما الى هذا الزعم وانما يكفيهما ان يكون الفعل مطابقًا في الظاهر لما يعتقدانِ انهُ حسنٌ سوآءٌ كان في الواقع كذلك ام لم يكن . وهكذا يولّدانِ في قلب ولدهما الريآء او الخسّة او الأَثَرة مكان الخلوص والانفة وظلف النفس . وربما امراهُ بالصدق في اقواله ثم يعدانهِ ولا يُنجزان او يوعدانهِ ولا يفعلان فيجرّئانه بذلك على الاخلاف والنكث والكذب ويصيرانِ لهُ فيها قدوةً . ويأمرانه بطول الاناة والحلم والتمالك ثم يسخطان عليهِ لاجل هناتٍ وتُرَّهاتٍ لعلها مما لا يستوجب

السخط فيدرّبانه بذلك على الغضب وشراسة الاخلاق

ولو لا أنّ في جبلة الاولاد ما يردّهم في الغالب الى النشوء على ما فيهم من السجايا الحسنة الموروثة لكانت تربية والديهم ايّاهم آفةً على اخلاقهم وايّ آفة

ستأتي البقية

الزجاج

الزُّجاج جوهرٌ صُلبٌ شفّافٌ قَصِمٌ اي سهل الانكسار يرنُّ اذا نُقِر عليه ويُصهَر بالحرارة القوية القطعة منهُ زُجاجة وقد تُطلق على الكأس قال عنترة

ولقد شربتُ من المدامة بعد ما ركدَ الهواجرُ بالمَشُوف المُعلَمِ
بزُجاجةٍ صفراءَ ذات أسرَّةٍ قُرِنَت بأزهر في الشمال مُفدَّمِ

وفي سورة النور « مَثَلُ نوره كمشكاةٍ فيها مصباحٌ المصباح في زجاجة » اي في قنديل من الزجاج . ويقال لصانعهِ زَجَّاج وهي صيغة يُقصَد بها النسبة لا المبالغة بمنزلة العطّار والخزّاف ونحوهما . والزُجاج مركبٌ من الرمل والقلي والكاس او المرتك (وهو اكسيد الرصاص) فاذا مزجت هذه المواد وصهرت تكونت كتلةً ليس لها شكلٌ خصوصي من خصائصها ان لا تذوب بالمآء ولا بالحوامض الاّ الحامض الفلور هيدريك[1] . ومنافع الزجاج وخواصهُ تختلف باختلاف المواد التي يُصنع منها فزجاج القوارير يصنع من الرمل الحديدي والرماد او من القلي والصلصال وكِسَر القوارير نفسها . وزجاج النوافذ يصنع من الرمل

(١) هو غاز خانق قوى الرائحة سام جداً يستعمل فى الصناعة لحفر الزجاج وذلك بان تكسى الزجاجة التى يراد حفرها شمعاً ثم ينقش عليها الرسم المطلوب وتعرض لبخار هذا الحامض فيظهر الرسم . وهو انما يحفظ فى انية من رصاص او كوتابرخا

الابيض وملح الصودا وقراضة الزجاج الابيض وشيء من الطباشير او الجير واكسيد المنغنيس . والبلور وهو اجود اصنافهِ واشدّها صلابةً واجتماعاً واكثرها بياضاً وصفاءً يصنع العاديُّ منهُ من الرمل الابيض النقي والبوتاسا والمرتك ومنهُ صنفٌ يُعرَف بالبوهيميّ لانهُ يصنع في بوهيميا ويركَّب من المواد نفسها وانما يشترَط فيها ان تكون على غايةٍ من النقاوة ويمتاز بخفتهِ وصفائهِ وصلابتهِ . وهناك اصناف اخر هي غايةٌ في صفاء اللون واجتماع الجوهر وجودة التركيب تستعمل في الآلات البصرية لتكبير الاشباح واستجلاء صورها

ويتوقف شفوف الزجاج وصفاء لونهِ على نقاوة المواد التي يُصنَع منها ومهارة الزجَّاجين في مزجها وتركيب اجزائها وطريقة صهرها . وهم يسحقون هذه المواد سحقاً دقيقاً ثم يمزجونها ويجعلونها في بواتق من الخزف لا تتصدع بالحرارة العالية تُصَفُّ صفًّا متآزيًا في تنّور مضطرمٍ حتى يُصهَر المزيج ثم تؤخذ منهُ كتلةٌ بطرف انبوبة من حديد مثقوبة يُنفَخ فيها فتمدد الكتلة تمددًا كرويًّا ثم تعالج وهي لينة كالعجين على الشكل الذي يؤثرهُ الزجَّاج من قوارير وكؤوس وصفائح وغيرها وقد رأيناهم يحوّلون الكتلة الزجاجية خيوطًا دقيقة تحاك وتُنسَج مُلاءً واثوابًا في لحظة من الزمان . وهم يقطعون الزجاج ويصقلونهُ وينقشونهُ ويعملون منهُ ما شاءُوا بما استنبطوا من الآلات والحيل التي يضيق عن استيفاء شرحها المقام

والزجاج كان معروفًا عند القدماء فقد ورد ذكرهُ في مواضع كثيرةٍ من التوراة وقال بلينيوس ان اكتشافهُ يرد الى الفينيقيين وكانت مصانعهُ في صور وصيداء كثيرة وعنهم اخذ اليونان ثم برع الرومان في هذه الصناعة على ما تشهد بهِ آثارهم المعروضة في المتاحف وكان المصريون من اشهر من نبغوا فيها قديمًا حتى بلغوا منها درجة من الاتقان والاحكام لم يبلغها المتأخرون الا من

عهد قريب وقد وُجد الزجاج في انقاض بمباي وهركولانوم · ولا مشاحّة في أن العرب اتقنوا هذه الصناعة في دمشق وبغداد والاندلس وعنهم اخذ البندقيون بدليل تحدّيهم في صنع القناديل المرسوم عليها بالميناء مما كانوا يستعملونهُ في الجوامع · اما مهارة الاوربيين فيها في عصرنا فحدّث عنها ولا حرج وأشهر مصانعهم في بوهيميا فانكلترا ففرنسا ولا غرو فان علم الكيمياء قد مهد لهم سبيل النجاح بما استنبطوا من ضروب التراكيب والامزجة ومعرفة المقادير والاوزان مع ما هم عليهِ من الاجتهاد والدأب في مزاولة الاعمال والمنافسة في الاتقان والمسابقة في التحصيل

وحَسبُنا في بيان فضل العرب وبراعتهم في اتقان صناعة الزجاج وتلوينهِ التنبيه الى ما بقي من آثارهم في هذه الصناعة مما يشهد لهم بالحذق وبلوغ غاية الاتقان فان من رأى جامع قبة الصخرة بالقدس الشريف ادهشهُ ما يشاهد فيهِ من القطع الزجاجية البديعة المحكمة الصنع الملونة بالالوان المتناهية في الحسن المزينة بها نوافذهُ منذ ايام عبد الملك بن مروان سنة ٦٦ للهجرة وذلك حين منع اهل الشأم من الحج الى مكة واضطرهم الى حج الحرم الاقصى سبع سنين خوفاً من ان يأخذ منهم ابن الزبير البيعة لهُ · ويقرب منها في البهاء والرونق الزجاج الملون الباقي لهذا العهد اثرًا من آثار دولة المماليك في مصر فان نوافذ مساجد هؤلاء الملوك القائمة على ربوة في سفح الجبل الجيوشي مزينة بابدع القطع الزجاجية الملونة التي لم تَخلُق جدّتها على توالي السنين والسيّاح يزورونها ويعجبون من هذا الاثر العربي الذي يحق للمصريين ان ينافسوا بهِ الصناعة الحديثة

وليس من غرضنا الآن ان نباهي الامم ونفاخرهم بمصنوعات قدماء العرب على كونها جديرةً بالمباهاة خليقةً بالمنافسة وانما قصدنا تنبيه الخواطر في

اعقابهم من ابنآء هذا العصر لينشطوا من عقال الخمول وينفضوا عنهم غبار الغفلة والذهول فما من احدٍ يجهل ان الاوربيين جاسوا خلال ديارنا فدنًّا لهم صاغرين ثم اقبلوا علينـا ببضائعهم ومصنوعات بلادهم فاستنزفوا اموالنا وغنموا حاصلات اراضينـا ونحن غافلون وانما بلغوا ذلك منا بفضل ما اتقنوهُ من الصنائع وبلوغهم الغاية فيها مع تخلفنا عن الاشتغال بها فضلاً عن مباراتهم فيهـا فاصبحوا وهم الاغنيآء ونحن المعسرون واصبحت بلادنا واقفة على شفا جرف الخراب ذليلة محكومة مغلوبة على امرها مسلوبة الخيرات من ارضها بل أحرِ بمثلها من البلاد التي نبذت الصناعة ظهريًّا ان تكون هي البلاد التي يبيعها اهلها اضطرارًا بيع الغبن والغرر ثم ينقلبون عبيدًا يتحكم فيهم الغالبون وهم لا يشعرون . ونحن نرى ان البلاد المحكومة لا تستقيم امورها ولا تصلح شؤونها ولا تخلع عنهـا ربقة الرقّ اذا لم تستقلّ بنفسها وتستغنِ عن غيرها ولا استقلال لها الآن يدأب كل فردٍ من اهلها في التحصيل والكسب لا في المماحكة في السياسات والمشاحّات في العقائد وان يحثّ على الوئام والتضامّ لا ان يسعى في التعصب والتفريق . ولا ينكر ان الصنائع هي بعد الزراعة مصدر الثروة بل هي عنوان المدنية والعمران واعتبر ذلك بما نحن فيهِ من صناعة الزجاج فانك لو اتخذتها وحدها مثالاً في ذلك تبينت انهم يبيعوننا بها من تراب بلادهم ورملها بضاعةً نشتريهـا بالاثمان الفادحة فينتفع بها منهم الصانع والكيماوي وصاحب المعمل والمهندس والحاسب والكاتب والعميل والتاجر ونحن نتكاف عليها المرابحات والمكوس واُجر النقل ونحمل عليها الكسر وخطر الغرق وغير ذلك مما كنا نستغني عنهُ جملةً لو كانت تُصنَع في معامل بلادنا وما نؤديهِ منها كان في جملة ارباح البلاد يخرج من ايدينا اليوم ليعود اليها غدًا

الطاعون

(تابع لما قبل)

ومما يدلُّ على ان مصر لم تكن دائماً مقرّ هذا الوبآء ومصدر انتشارهِ نشوءُ وافداتهِ في غيرها بعد زوالهِ منها بالكلية فقد ظهر سنة ١٨٥٦ في طرابلس الغرب وانتشر بين العرب قرب بنغازي وانتاب عسير منذ سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٨٨٩ ولم يحملهُ البدو الى مكة على ما تشاءم بهِ القوم حينئذٍ · وهو يكاد يكون متوطناً في العراق العربي بين دجلة والفرات فقد حدث في بغداد من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٨٦١ وتفشى سنة ١٨٦٧ بين العرب النازلين بعبر الفرات على طريق كربلآء ونجد واعاد الكرّة على بغداد سنة ١٨٧٣ وبقي الى سنة ١٨٨٠ · وحل في اذربيجان من بلاد العجم منذ سنة ١٨٦٣ حتى سنة ١٨٧٥ وامتدَّ الى كردستان وانتشر في خراسان وغيرها · وسنة ١٨٧٨ ظهر في بعض قرى استراخان فخافت الدول الاوربية من انتشارهِ الآ ان التدابير الصحية حصرتهُ في مكانهِ ومنعت امتدادهُ

ومن المقرر ان الطاعون كان سنة ١٨١٥ شديد الوطأة في ولاية فُتْش وقطيوَر من اعمال بمباي وبقي الى سنة ١٨١٩ يفتك في الشتآء ويخف في الصيف ثم ظهر سنة ١٨٣٦ في مقاطعة مَرْوَر فهلك بهِ ٢١,٠٠٠ من اهلها واجتاح مدينة بالي وعدد اهاليها ١٥,٠٠٠ فأودى بحياة ٤,٠٠٠ منهم ووُجد منذ سنة ١٨٢٣ في مقاطعة غُرْهل الواقعة في حضيض جبل حملايا وبقي ينتابها الى سنة ١٨٧٧

وقد ثبت ان هذا الوبآء متوطن في ولاية انّام من الصين منذ سنة ١٨٧١ ويكون وافدًا على حدود تُنْكين كل ثلاث سنين او اربع · وقد اودت وافدة

سنة ١٨٩٤ التي تفشّت في كنتون بحياة ١٨٠,٠٠٠ من اهلها وفي هنغ كنغ هلك بها ١٢٠,٠٠٠ وهي الوافدة التي تذكر بما وُفّقَ اليهِ الطبيبان يرسن الفرنساوي وقيتازاتو الياباني من كشف جرثومة الطاعون الخصوصية. وهي تُرى بالمجهر (ش١) على شكل انابيب بيضية بعضها اكبر من بعض قليلاً تتلون بالانيلين فتظهر اطرافها منفصلة واذا استُفرخت على مادة صلبة بقيت على الشكل الذي كانت عليهِ في الدُمَّل الاّ انهُ يظهر فيها هناتٌ مستديرة وانبوبيات مستطيلة الى جانب الانابيب البيضية المذكورة آنفاً. اما اذا استُفرخت في مادة سائلة فتكون على شكل سبحة كل حبة منها توازي الاخرى (ش٢) ويرى غالباً في طرف السبحة او في وسطها حبة ممتازة بلونها وقدها واكثر ما يرى ذلك في دم الجُرَذ بعد تلقيحه. ومقرُّ الجراثيم الوبيلة الدمَّل والدم وسائر الاعضاء وهي شديدة الوبال على الفأر فالجُرَذ فالارنب فالخنزير الهندي. وقد ثبت ان الفأر اكثر قبولاً للوبآء ولم يكن ذلك معروفاً من قبل فاذا حدث الطاعون في مكانٍ تصاب بهِ اولاً والهنود اذا رأوها تزأم استدلوا على حلول الوبآء فيتركون قراهم ويولون الادبار

ش١ ش٢

وبعد ان كُشِفت جرثومة الطاعون في الهند كما ذُكر آنفاً عاد الاستاذ يرسن الى باريز يدأب فيها مع بعض رصفآئهِ تحت ملاحظة الاستاذ روكس في استنباط اللقاح الشافي من هذه العلة فنجح بتخفيف سمية المرض وتلطيف فعلها في الارانب والفأر وخنازير الهند وذلك بان استفرخ جرثومة الوبآء بموجب الطرق المألوفة ثم وضعها في ابزن درجة حرارتهِ ٥٨ س مدة ساعة لتموت وبعد ذلك اخذ من هذه المادة شيئاً حقن بهِ في وريد الارنب فظهرت اعراض

العلة فيها ولكنها لم تمت كما لو حقن بالمادة الاصلية لان سمية المادة المحقون بها لم تكن كافية لهلاكها ثم استفرغ من مصل الارنب المحقونة على ١٠ ذكر وحقن منهُ بكمية ٣ سنتيمترات مكعبة ارنباً اخرى فقويت على احتمال سمية الجرثومة الفعالة فاستنتج من ذلك ان الجرثومة المخففة تعارض فعل الجرثومة الشديدة السمية في بناء الحيوان وكأنهُ سلط على العدو عدواً من نفسهِ كما قيل

ولكل شيء آفةٌ من جنسهِ حتى الحديد سطا عليهِ المبردُ

واعاد التجربة بان لقح الحيوان بالمادة الشديدة السمية وبعد ١٢ ساعة حقنهُ بالمادة المخففة فسلم من الموت وعوفي وعلى هذا النحو اجرى تجاربهُ على الخيل فعافاها والفرس المعافى على هذا الوجه يُفصَد بعد ثلاثة اسابيع من حين شفائهِ من العلة المسببة عن اللقاح ويؤخذ مصلهُ ويحفظ في قوارير ليكون معدًّا للاستعمال عند اللزوم

وبعد ان اسفرت تباشير النجح بهذه الطريقة عاد العلامة يرسن الى حيث مقر الوباء وجرب التلقيح بالمصل في فتى صيني مصاب بالطاعون الدملي فأبلّ منهُ وشفي في وقت قصير ثم لقح اثنين في كنتون فشفيا كذلك وقد ثبت انهُ شفى ٢١ مريضاً من ٢٣ في مدة ١٠ ايام بطريقة اللقاح ما عدا الثلاثة المذكورين آنفا[١] وكان النقه سريعاً ولم يمت الاّ اثنان تأخر علاجهما الى اليوم الخامس من بداءة العلة وكان آئساً من نجاحهما لضعف القلب وفقد القوى من جراء شدة العلة وتقدمها

اما العدوى فقد انكرها كثير من نُطُس الاطباء منهم كاوت بك وحجتهُ ان المصريين لم يكونوا يتجنبون مخالطة بعضهم لبعض في زمن الطاعون فلو كانت

---

١ يستفاد من الاخبار الاخيرة ان اللقاح بمصل الفرس المعافى يستعمل الان فى بمباى وقد نجح العلاج به فى الوقايه من هذه العلة كما نجح فى شفائها

العدوى واقعية لما سلم احد منهم وان الوبآء كان يتفشى في احياء كثيرة من تلقآء نفسهِ والامر ليس كذلك لانهُ قد ثبت ان هذا المرض الوبيل معدٍ ومن الادلة على عدواه اولاً انهُ ينتقل من مقر وبيءٍ الى مكان سليم اما بحمل جراثيمه بالمربوءِ نفسهِ او بالاشيآء الملوثة . ثانياً أن الذين يخالطون الموبوئين قلَّما يسلمون من العدوى وخطرُها على الاطبآء والممرّضين كان عظيماً في جميع الوافدات التي حدثت حتى الآن . ثالثاً أن الذين اعتزلوا المرضى وتجنبوا المخالطة سلموا مع انهم كانوا في مكانٍ وبيءٍ . رابعاً أن الحجر الصحي يحصرهُ ويدرأ خطرهُ عن الاماكن المحجور دونها وذلك ثابتٌ فعلاً بدليل حصرهِ في نوجا سنة ١٨١٥ على ما تقدم . خامساً أن التدابير الصحية تعارض انتشارهُ وامتدادهُ وللمحتجرات فضل في ذلك لا ينكر فانهُ لما ظهر في استراخان سنة ١٨٧٨ لم يتجاوز بلدة وتلينكا وكثيرًا ما حملتهُ السفن الى الموانيّ فاحتُجر عليها واصيبَ اطبآء المحتجرات وخدَمها فوقف عند هذا الحدّ وسلمت المدن من شرّهِ . سادساً لان التلقيح به يُحدِث العلة في الصحيح

وقد ثبت ان الهوآء يحمل جراثيم العلة وينقلها من مكان الى آخر وان هذه الجراثيم تتطرق الى البنية بالاستنشاق وان الذباب ينقلها الى الصحيح وقد وجدها يرسن في امعائهِ كما انهُ وجدها متخللةً في التراب على عمق ٥ سنتيمترات ومن تجاربهِ انهُ اخذ ذبابة وُجدت ميتة في مكانٍ وبيءٍ فسحقها ثم اخذ منها شيئاً نقعهُ في المآء المجرّد[1] ولقح الجرذ بمقدارٍ منه فطُعن للحال . ولا يكون المآء في الحالة الطبيعية حاملاً لهذه الجراثيم لانها لم توجد فيهِ . وقد ثبت بالمراقبة ان

---

[1] المراد بالماء المجرد الذى قد جرد من الجراثيم النباتيه والحيوانيه باغلائه حتى تهلك تلك الجراثيم

مجاري المياه الكبيرة تعترض انتشار الوبآء فلا يتعداها ففي الوافدة التي حدثت في لندن سنة ١٦٦٥ التجأ ١٠,٠٠٠ شخص الى السفن والمراكب الراسية في نهر التاميز فلم يُطعَن احد منهم واسطول مدينة مالطا سلم من وبآئها سنة ١٨١٣! فلم يُطعَن من ملاّحيهِ الاّ ثلاثة جالوا في اسواق المدينة . وفرّ سنة ١٨٩٤ من اهالي كنتون ٨٠,٠٠٠ نفس الى السفن والمراكب فسلموا كلهم من فتك الوبآء[١]

اما طرق الوقاية من العدوى فتؤخذ من المبادئ المقررة آنفاً ممـا لا نطيل في الكلام عليهِ الآن وعسى ان لا نعود اليهِ فيما بعد لكن حسبنا ان نستلفت الانظار الى ما في هذه العاصمة خصوصاً وسائر مدن القطر عموماً من الاسباب الباعثة على تفشي الامراض الوبيلة وتباب السكان اذا تفشت واخصُّ هذه الاسباب الاقذار المتراكمة والاسراب غير النافذة فهي مجتمع جراثيم الامراض المعدية ومقر كل وبالة . وانّا لنعجب من تغاضي الحكومة المصرية حتى الآن عن تدارك هذا الامر الخطير وهي قادرة عليهِ ولا يفوتها ادراك اهميتهِ . ومعلوم ان الانسان لايسعهُ اجتناب مضار الحرارة والرطوبة ومنع استنشاق الهوآء لان ذلك فوق استطـاعتهِ ولكنهُ غير قاصر عن مضادة المواد المتعفنة بازالة القاذورات فمتى تخلصت مصر منها تسلم من كل وبآء باذن الله

ولم ارَ في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمامِ

---

١ فى هذه الاثناء سأل مدير مصلحة الصحة فى باريز الاستـاذ روكس الشهير هل تهلك جراثيم الطاعون على درجة معلومة من الحرارة وهل بين المواد تفـاوت فى حملها الى البلاد البعيدة فاجاب على السوال الاول انهـا تهلك فى بيئة رطبة متى بلغت درجة الحرارة ٥٨ س وذلك فى اقل من سـاعة فيجب ان تكون درجة الحرارة ١٠٠ لتهلك بسرعة وعلى السوال الثانى ان المواد تتفـاوت فى نقل هذه الجراثيم فالخرق والثياب الملبوسة اشدها خطرا اما الحبوب والخشب فلا يخشى من نقل العدوى بواسطتهـا اذا لم يوجد فيهـا جرذ اوفـار مطعون اه ملخصا

اخبار الوبآء الاخيرة

آخر ما ورد من بمباي ان الوبآء لم يزل يفتك فيها فتكاً ذريعاً والمهاجرة لم تزل على ازدياد ويقدّرون ان عدد الذين يخرجون منها في كل يوم ٨٠٠ شخص وقد بلغت الوفيات على ما في تقرير الحكومة الرسمي في الاسبوع الذي آخره ٢٣ فبراير ١,٦٩٠ منهم ٧٨٠ بالطاعون وهو غير صحيح لان وفيات الاسبوع المذكور بهذه العلة تزيد على ١,٢٠٠ ولا غرابة في ذلك لان حكومة الهند الانكليزية لم تجرِ الاحكام التي تقررت اخيرًا في اتخاذ التدابير الملائمة لصحة العموم واجبار السكان على العمل بها

لطيفة

كانت حضرة سيف الدولة بن حمدان كعبةً لوفود اهل العلم والادب وكان للمتنبي عندهُ المكانة الاولى على ما هو مشهور حتى حسدهُ مَن ببابهِ من الشعرآء . ومن لطيف ما يُروَى ان الخالديَّين — وهما شاعران أخَوان كان اكثر شعرهما مُشترَكاً بينهما — قالا يوماً لسيف الدولة انك لتغالي في شعر المتنبي فلو اقترحتَ علينا ما شئت من قصائدهِ حتى نعمل اجود منها . فدافعهما في ذلك زمانًا ثم كرَّرا عليهِ فاعطاهما القصيدة التي مطلعها

لعينيكِ ما يلقى الفؤاد وما لقي ... وللحبّ ما لم يبقَ مني وما بقي

فأخذاها وأقبلا يتصفحانها فعجبا من اختيار سيف الدولة لها اذ لم تكن من فائق شعر المتنبي ثم عادا ينظران فيها حتى انتهيا منها الى قولهِ

اذا شـآء ان يلهو بلحية احمقٍ ... أراهُ غباري ثم قال لهُ اَلْحَقِ . . .

ففطنا لمراد سيف الدولة ولم يعاوداهُ



السيد جمال الدين الحسيني الافغاني

هـذا جمال الدين أمسى نازلاً   جدَثاً تضمّن منـه أيَّ دفينِ
قَدَرٌ بهِ عمَّ البكآء على امرئٍ   فقدت بهِ الدنيا جمال الدينِ

نعت الينا أنبآء الآستانة انسان عين الفضل والكمال ومجمع أشعّة الحكمة بل قطب دائرة العلوم على الاجمال رُحلة البلغآء وقدوة العارفين

وقاضي علوم الدنيا والدين السيّد جمال الدين الحُسَيني الأفغاني المشهور فرع الأُرومة الزكيّة وسليل الحسب القائم من منصب السؤدد في الذروة العليّة فكان لمنعاهُ يومٌ اشتدّ وقعهُ على القلوب والمحاجر وطال في وصفهِ انين الأقلام فأمدّتها بالدمع عيون المحابر وكيف لا وهو خطيب الشرق الذي رنّ في الخافقَين صدى خطابهِ وإمامهُ الذي انبثقت انوار اليقين من سماء محرابهِ وأُستاذ علومهِ الذي ما فتئت الحكمة تتدفق بين فؤادهِ ولسانهِ وتطلع شموس البلاغة من بين خاطرهِ وبيانهِ وتجري مناهل العرفان بين أقلامهِ وبنانهِ

قضى رحمهُ الله في التاسع من الشهر الغابر بعلّة السرطان وقد تشبث منهُ بين الفكّ والنحر ودبّ في مجرى الفصاحة منهُ ولا عجب أن يدبّ السرطان في البحر فقبض ذلك اللسان عن تدفُّق عُبابهِ وحبس تلك الدُرَر فما يبرز مكنونها من حجابهِ الى ان نقلهُ الله الى جوارهِ فذهب حميد الاثر ودُفن في قرافة المشايخ مذكورًا بالرحمة ما غاب قمر وناح طائرٌ على شجر

وهذه ترجمتهُ نلخّصها عن فصلٍ لحضرة العلاّمة الفاضل الشيخ محمد عبده الشهير صدّر بهِ تعريب رسالتهِ التي كتبها في ابطال مذهب الدهريين على ما سيجيء ذكرهُ في الترجمة قال حفظهُ الله

هو السيّد محمد جمال الدين ابن السيّد صفتر من بيتٍ عظيمٍ في بلاد الافغان يُنمى نسبهُ الى السيّد عليّ الترمذيّ المحدّث المشهور ويرتقي الى سيّدنا الحسين بن عليّ بن ابي طالب كرّم الله وجههُ . وآل هذا البيت عشيرةٌ وافرة العدد تقيم في خطة كُنَر من اعمال كابُل ولها منزلةٌ عليّة في قلوب الافغانيين يجلّونها رعايةً لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادةٌ على جزءٍ من الاراضي الافغانية تستقلّ بالحكم فيهِ وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جدّ

الامير الحالي وامر بنقل ابي السيد جمال الدين و بعض اعمامهِ الى مدينة كابل

وكان مولد السيد جمال الدين في قرية اسعد آباد من قُرَى كُنَر سنة ١٢٥٤ وانتقل بانتقال ابيهِ الى مدينـة كابل و بها نشأ وتلقى علوماً جمة برع في جميعها منها علوم العربية بأطرافها والتأريخ العام والخاص وعلوم الشريعة بفروعها والمنطق والحكمة العملية والنظرية والعلوم الرياضية ونظريات الطب والتشريح . اخذ جميع تلك الفنون عن أساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسهِ في الثامنة عشرة من سنهِ . ثم عرض لهُ سفرٌ الى البلاد الهندية فأقام بها سـنةً و بضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربيـة الجديدة . وأتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لأداء فريضة الحجّ فاقام نحو سنةٍ يتنقل من بلدٍ الى بلد حتى وافى مكة المكرّمة سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرّ بها واخلاقها واصاب من ذلك فوائد غزيرة . ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلادهِ فدخل في بطانة الامير دوست محمد خان وصحبهُ في غزوة هراة وبعد وفاة الامير دوست اتصل بالامير محمد اعظم خان ولما أفضت الامارة اليهِ بعد اخيهِ محمد افضل خان رفع منزلتهُ واحلّهُ محلّ الوزير الاول . ثم نشبت الحرب بين محمد اعظم خان وشير علي بن دوست وكانت العاقبة فيها لشير علي فانهزم محمد اعظم خان الى بلاد ايران وبقي السيد جمال الدين في كابُل مرعيّ الحرمة الى أن شعر بما اوجب تحذُّرهُ على نفسهِ فاستأذن شير علي في الخروج الى الحج وارتحل عن طريق الهند فأقام بها مدة شهر ثم نهض فركب الى السويس ودخل مصر فاقام بها أياماً يخالط اهل العلم . وفي اثناء ذلك عرض لهُ مأربٌ في السفر الى الآستانة فارتحل اليها ولم يطل مُقامهُ بها حتى تقرب من قلوب

الامرآء والوزراء وعلا ذكرهُ بينهم وتناقلوا الثناء على علمهِ ودينـهِ وأدبهِ . ثم سُمّي عضوًا في مجلس المعارف فكان منهُ في هذه الخطة ما احفظ عليـهِ قلب شيخ الاسلام فجعل وكدهُ السعي في اقصآئه حتى تمكن من ذلك في خبر ليس هذا موضعهُ واستخرج امرًا من جانب الصدارة بنفيهِ من الآستانة ففارقها متوجهًا الى مصر ووصلها في أول المحرَّم من سنة ١٢٨٨ . ولما القى بها عصاهُ أجرت عليهِ الحكومة رزقًا شهريًّا فاتخذ لهُ بها منزلاً وجعلت طلبة العلم تتوافد عليه فصادفوا منهُ بحرًا عذب الموارد زاخرًا بالفوائد . ثم رغبوا اليهِ في القرآءة فقرأ عدةً من الكتب العالية في فنون الكلام والحكمة النظرية والهيئة والتصوف واصول الفقه فعظم امرهُ في نفوسهم وانتشر صيتهُ في الديار المصرية . ثم وجه عنايتهُ لتنوير البصائر واماطة حُجُب الاوهام وحمل تلامذتهُ على العمل في الكتابة وانشآء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظرهِ وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيهِ وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في الاغراض المختلفة منحصرين في عددٍ قليل

ولم يزل شأنهُ في ارتفاع والقلوب عليهِ في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر المغفور لهُ توفيق باشا فسعى بهِ بعض ذوي المآرب عندهُ حتى غيروا قلبهُ عليهِ فامر باخراجهِ من القطر المصري ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر آباد وفيها كتب رسالتهُ (التي اشرنا اليها في صدر هذه الترجمة) في نفي مذهب الدهريين . ثم لما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دعتهُ حكومة الهند الى كلكتا فألزمتهُ الاقامة بها الى ان انقضى امر مصر . وبعد ذلك خرج الى اوربا ووصل الى لندرا فأقام بها اياماً ثم انتقل الى باريز فلبث بها ما يزيد على ثلاث سنوات وهناك كلفتهُ جمعية العروة الوُثقى ان ينشئ جريدةً تدعو المسلمين

الى الوحدة تحت لوآء الخلافة الاسلامية فنشر منها ثمانية عشر عددًا هي آيةٌ في قوّة البلاغة وحسن البيان ثم كان من الحوادث ما اوجب الامساك عن نشرها فبقي بعد ذلك مقيماً باوربا اشهرًا في باريز واخرى في لندرا الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

أما منزلتهُ من العلم وغزارة المعارف فليس يحدّها قلمي الاّ بنوعٍ من الاشارة اليها . ان لهذا الرجل سلطةً على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خُلق لهُ . وكل موضوعٍ يُلقى اليهِ يدخل للبحث فيهِ كانهُ صنع يديهِ فيأتي على اطرافهِ ويحيط بجميع اكنافهِ ويكشف ستر الغموض عنهُ فيظهر المستور منهُ واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها . ثم لهُ في باب الشعريات قدرةٌ على الاختراع كأن ذهنهُ عالَم الصنع والابداع ولهُ لَسَنٌ في الجدَل وحذقٌ في صناعة الحجة لا يلحقهُ فيهما احد الآن يكون في الناس من لا نعرفهُ وقد اعترف لهُ الاوربيون بذلك بعد ما اقرّ لهُ الشرقيون . وبالجملة فاني لو قلت ان ما آتاهُ الله من قوّة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قُدِر لغير الانبيآء لكنت غير مبالغ . ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشآء والله ذو الفضل العظيم

أمّا اخلاقهُ فسلامة القلب سائدة في صفاتهِ ولهُ حلمٌ عظيم يسع ما شآء الله ان يسع الى ان يدنو منهُ احدٌ ليمسّ شرفهُ او دينهُ فينقلب الحلم الى غضب تنقضّ منهُ الشهب . وهو كريمٌ يبذل ما بيدهِ قويّ الاعتماد على الله عظيم الأمانة سهلٌ لمن لاينهُ صعبٌ على من خاشنهُ قليل الحرص على الدنيا ولوعٌ بعظائم الامور عزوفٌ عن صغارها شجاعٌ مقدامٌ لا يهاب الموت . انتهى المنقول من كلام الشيخ

ووقفنا لهُ على ترجمةٍ اخرى باللغة الفرنسوية فيها انهُ بعد ما فاوق اوربا سار يريد نجد فوافتهُ رسالةٌ برقية من الشاه ناصر الدين سلطان العجم يدعوهُ اليهِ فتحوّل قاصدًا بلادهُ ولما بلغ طهران احتفل بهِ الشاه احتفالاً بالغًا وادناهُ منهُ ورفع منزلتهُ وسماهُ وزير حربهِ وكان ينوي ان يرقيهُ الى مقام الصدارة وبعد ان اقام مدة ببلاد فارس شاع ذكرهُ وتناقلت الألسنة فضائلهُ وغزارة علمهِ وادبهِ فتواردت عليهِ الخاصّة من وجوه البلاد وامرآئها وعلمآئها ورأوا من كمال فضلهِ وسعة معرفتهِ باحوال السياسة والتأريخ وسائر العلوم قديمها وحديثها وتبحرهِ في معرفة الاديان مع ما رُزِقهُ من توقّد الذهن وبِلّة المنطق وقوّة الخطاب ما بهرهم وعَظُم بهِ وقعهُ في نفوسهم فانصرفت اليهِ الوجوه وملّكتهُ القلوب اعنّة اهوآئها. ورأى الشاه ان تسلّطهُ على النفوس يزداد كل يوم وحرمتهُ تعلو عند الامّة فاستشعر خشيةً من امرهِ واضمر الحذر من ناحيتهِ وتبين السيد جمال الدين ذلك من قِبَل الشاه فاستأذنهُ في الانصراف وخرج من البلاد الايرانية فصار الى موسكو ثم تحوّل الى باريز لشهود معرضها الذي كان سنة ١٨٨٩ وفيما هو مارٌّ في مونيخ من بلاد الألمان وافق الشاه بها فاجمل ملتقاهُ ودعاهُ للمصير الى بلادهِ وألحّ عليهِ في ذلك فسار في صحبتهِ وما كادت تستقرّ قدمهُ في بلاد ايران حتى تألب القوم حولهُ بما أربى على ما كان منهم في المرّة الأُولى ثم رغب اليهِ المتفقهون منهم ان يرسم لهم قوانين دستورية تجري بها الاحكام في نصابها من النَصَفة والعدل وتُلزِم الحكام العمل بمقتضاها فأسرّ جمال الدين ذلك في نفسهِ ثم تلطف في عرضهِ على الشاه فاستصوبهُ ومال الى موافقتهِ عليهِ لكنهُ لم يلبث ان نكل عن قبولهِ بمشورة الصدر الأعظم فانهُ حذّرهُ عواقبهُ بحجة ان الأُمّة غير متأهّبةٍ لهُ فضلاً عن انهُ

يؤدّي الى تقييد سلطة الشاه وربما كان سبباً في تقويض عرشهِ

فلما رأى جمال الدين ذلك خرج الى المشهد المعروف بشاه عبد العظيم وهو مقامٌ مبنيٌّ على نحو اثني عشر ميلاً من طهران يُفضَى اليهِ بسكة حديدية فاستمرّ القوم يختلفون اليهِ في مقامهِ ذاك يفاوضونهُ فيما أُشربتهُ قلوبهم من امرِ القوانين والاحكام الى ان اتى على ذلك نحوٌ من ثمانية اشهر وامرهُ لا يزداد الاّ انتشارًا حتى ثارت الخواطر في جميع اطراف البلاد

وتخوّف الشاه عاقبة ذلك على سلطانهِ فوجّه الى شاه عبد العظيم خمس مئة فارس مدججين بالسلاح فقبضوا عليهِ وهو مريض في فراشهِ وقادهُ خمسون منهم الى الحدود العثمانية فكان عن ذلك هرجٌ شديد في البلاد الايرانية وانتشرت المشاغب وكثرت الرسائل والمنشورات وتواردت على الشاه كتب التهديد بان يجري على مقترحهم او يخلع نفسهُ من الملك حتى بلغ منهم ان حاصروهُ يوماً في قصرهِ

وسار جمال الدين بعد ذلك الى البصرة لتفاقم العلة عليهِ بسبب اشتداد البرد في تلك الديار فلبث بها سبعة اشهر الى ان تماثل من مرضهِ ثم نهض متوجهاً الى لندرا فأنشأ بها جريدةً سماها ضياء الخافقين اكثر فيها من الطعن في سياسة الشاه وتهييج خواطر الأمة من رعيتهِ عليهِ وكان يكثر التردد الى المحافل السياسية يخطب فيها في أمرِ الشاه وحضّ رجال الدولة الانكليزية على خلعهِ واقام على ذلك مدة ثمانية اشهر . وفي اعقاب ذلك بعث السلطان عبد الحميد يستدعيهِ اليهِ على يد رستم باشا سفيرهِ في لندرا فأجاب بعد ما امتنع على أن يؤذَن لهُ في العودة الى اوربا متى شاء وقدم الاستانة سنة ١٨٩٢ فتلقاهُ السلطان بتعطفاتهِ واحسانهِ واجرى عليهِ رزقاً واسعاً وكان كثيرًا ما يدعوهُ ويخلو بهِ في

أغراضٍ سياسية ليس من شأن هذه المجلّة التعرّض لها ولا لغيرها مما اتفق لهُ من الحوادث مدة اقامته بالآستانة حتى ظهر فيهِ الداَء فألزمهُ الفراش أشهرًا قاسى في اثنآئها عذابًا واصبًا الى ان اختار لهُ الله ما عندهُ فذهب مأسوفًا عليهِ تغمدهُ الله برضوانهِ وافرغ عليهِ سحائب رحمتهِ وغفرانهِ

***

هذا ما وقع الينا من ترجمة هذا الرجل الشهير وهي كما تراها أدنَى ان تكون ترجمة رجلٍ سياسيٍّ قد جعل نُصبَ ناظرهِ غرضًا بعيدًا لا تبلغ اليهِ ذراعهُ ولا تصبر عنهُ همتهُ وأطماعهُ فهوابدًا تمثال يقظتهِ وطيف منامهِ وحديث خواطره في رِحلته ومُقامهِ

وكنتَ اذا ارسلتَ طرفك رائدًا لقلبك يومًا اتعبتك المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلهُ انت قادرٌ عليهِ ولا عن بعضهِ انت صابرُ

فأقبل يضرب اليهِ آباط المسالك ويُكثِر في التماسهِ من الحركة في البلاد والتنقل في الممالك لا تستقرّ لهُ قَدمٌ ولا يقف على ساق ولا ينزل رحلهُ في افقٍ من الآفاق ولسان حالهِ ينشد قول المتنبي

يقولون لي ما انت في كل بلدةٍ وما تبتغي ما ابتغي جلّ ان يُسمى

وانما تُدرَك الآمال بمضافرة الرجال وتُبلَغ الاوطار بمؤازرة الاقدار ولا نصيرَ اذا لم ينصرِ القدَر ولا رفيقَ اذا توعرت شُقّة السفر وكانت محفوفةً بالخطر فلا عجب اذا قصر مشايعوهُ عن مجاراته وتخاذل مريدوهُ عن موالاته فكان كما قال المتنبي ايضًا

وحيدٌ من الخلّان في كل بلدةٍ اذا عظُم المطلوب قلّ المساعدُ

وانما هي نفسهُ الكبيرة اقدمت بهِ على ركوب العظائم ومنّتهُ ان يبلغ منفردًا ما لا يُبلغ الا بالجيوش الخضارم فلا مأربًا نال ولا نفسهُ أقال ولكنهُ اضاع

ايامه في الطلب ولم يجن من امانيّه سوى النَصَب وما احسن ما قال المتنبي ايضاً

واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الاجسامُ

وانما انتزع المتنبي هذه المعاني من صحيفة أيّامه وما قرأ فيها من تخلُّف جدّه وتقدُّم إقدامه كما قال

ابدًا اقطع البـلادَ ونجمي في هبوطٍ وهمتي في صعودِ

فقد طُبع الرجلان على غرارٍ واحد وان تفاوت لمحتدان ونشأا في منشإٍ واحد وان تباين البُلدان فدَرَج كلٌّ منهما بين صليل السيوف وصهيل الجياد وترعرع بين مزاحف الصفوف ومواقع الجِلاد في بلادٍ لا حكم فيها الاّ للغالب ولا شرع الاّ ما حكمت بهِ شفار القواضب وحقيقٌ بمن ربي على مثل تلك الحال ان يخرج صُلبَ النفس رغيب الآمـال ولا سيما اذا كان لهُ قديمٌ يرجع اليهِ ببصرهِ او فائتٌ يستحثّهُ للكرّ على أثرهِ

وعجيبٌ من مثل السيّد على استضاءَة بصيرتهِ بنور اليقين وضمّهِ بين حاشيتي علوم المتقدمين والمتأخرين ووقوفه على يفاعٍ من الحكمة يجمع الدنيـا منهُ بنظرة ويستقصي اطرافها بلمحة وقد تجردت لهُ عن زينتها وزخارفها واماطت لهُ اللثام عن اباطيلها وسفاسفها أن يبقى في نفسهِ مكانٌ لشيءٍ منها يقال لهُ الرئاسة وتنزع همتهُ الى حالٍ من احوالها تسمى بالسياسة بل ما كان أجدرهُ وقد رُزق من توقد الذهن وسعة المحفوظ ما كان فيهِ آيةً من آيات الله وأُوتي من قوّة الحكم وسرعة الخاطر ما انفرد فيهِ عن النظراءِ والأشباه ووعى في صدرهِ من اصناف العلوم العقلية والنقلية ما كان فيهِ نسيج وحدهِ ومن سياسات الممالك وتواريخ الأُمم ما عزّ على غيرهِ من بعدهِ أن ينزل نفسهُ من دُنياهُ حيث أنزلتهُ الفطرة ولا يتعدى ما قسم لهُ القَدَر ووجد من نفسهِ عليه القدرة

فيجعل أيّامهُ وقفًا على الاشتغال والنفع واستزادة ما شآء الله من العلوم مما هو متأهبٌ له ُ بالطبع وتسطير ما يُفتح به عليهِ مما غَفَل السَلَف عن تدوينهِ او فاتهم الوصول اليهِ من علوم هذا العصر وفنونهِ ولو فعل لكان إمام الدنيا بلا مدافع وكانت حياته ُ طافحةً بالفوائد والمنافع ولتجاوبت الآفاق من صدى ذكره بما لا يأتي عليه كرور الليال ولا ينقرض الاّ بانقراض القرون والاجيال فسبحان من لا يَشغَلهُ شأنٌ عن شأنٍ وهو الكبير المتعال



أسئلة وأجوبتها

القاهرة — قد استفاضت الجرائد في هذه الايام بذكر ما يسمّى بالدوطة فمن الكتّاب من نقلها بلفظها الاعجمي ومنهم من عرّبها تارةً بالمَهر وتارةً بالصَداق وهما خلاف المقصود لان المراد بهما ما يؤدّيهِ الزوج الى الزوجة عند عقد القران والدوطة بالعكس كما هو معلوم فهل كان عند العرب شيءٌ يقابل الدوطة وايّ لفظٍ يصحّ ان يعبَّر بهِ عن هذا المعنى لبيبة ماضي

الجواب — لا شك ان العرب لم يكن عندهم شيءٌ في معنى الدوطة اذ لم يكن ذلك معروفاً عندهم كما لم يكن معروفاً عند اهل المشرق عامةً ولذلك لم يكن في لسانهم لفظٌ يعبَّر بهِ عن هذا المعنى . على ان الظاهر من استعمال لفظة الدوطة عند الافرنج انها غير مخصوصة بالمال الذي تؤدّيهِ الزوجة الى الزوج وانما هو قيدٌ اتفاقيٌّ غلب بغلبة العادة فانهم يستعملونها ايضاً بمعنى المال الذي

يؤدّيهِ طالب الرهبانية الى الدير وهي في هذا المعنى تتناول الذكر والانثى على السوآء. وقد تُطلَق ايضاً على المال الذي يُفرِدهُ الوالد لولدهِ على وجه التخصيص والتمليك ذكرهُ غير واحدٍ من مشاهير علمآء اللغة عندهم وما احرى هذا المعنى الاخير ان يكون هو المعنى الاصليّ في هذه اللفظة. وهذا ولا شك مما كانت تفعلهُ العرب شأن غيرها من كل اُمّة يقولون نَحَل الرجل ولدَهُ مالاً وأَنحلهُ اذا خصَّهُ بشيءٍ منهُ ويسمَّى ذلك المال النحل والنُحلان بالضمّ فيهما. وجاءَت ايضاً البائنة بالمعنى نفسهِ الّا انها اخصّ من النُحل يقال أبان الرجل ولدَهُ ابانةً اذا أفردهُ بمالٍ يكون لهُ على حِدَة وقد بان الولدُ بذلك يبين بيوناً ولا تكون البائنة الّا من الابوين او من احدهما. على ان النُحل قد يجيءُ بمعنى الصداق ايضاً ومثلهُ النِحلة بالكسر فهو من اللفظ المشترك واذا استُعمل في المعنى الذي نحن فيهِ كان من الأضداد اي الالفاظ التي تُستعمَل في الشيء وضدّهِ ولذلك يُختار هنا العدول الى الإبانة دفعاً للالتباس والله اعلم

بيروت — كثيرًا ما يجيءُ في كتب النحو والمنطق عند تعريف اللفظ ذكر الدوالّ الاربع وهي التي يخرجونها من التعريف ويفسرونها بالخط والاشارة والعقد والنصب. فاما الخط والاشارة فمعلومان واما العقد والنصب فلم اجد من فسرهما على اني رأيت من يضبطهما بضم الاول وفتح الثاني وهو مما يزيد الامر اشكالاً فهل لكم ان تفيدونا ما المراد بهما وكيف حقيقة ضبطهما ج . م

الجواب — اما ضبطهما فكل من سمعناهُ يرويهما من اهل المصطلَح ينطق بهما بضمّ ففتح كما ذكرتم ولا وجه لهُ الّا ان يكونا جمع عُقدة ونُصبة بالضم

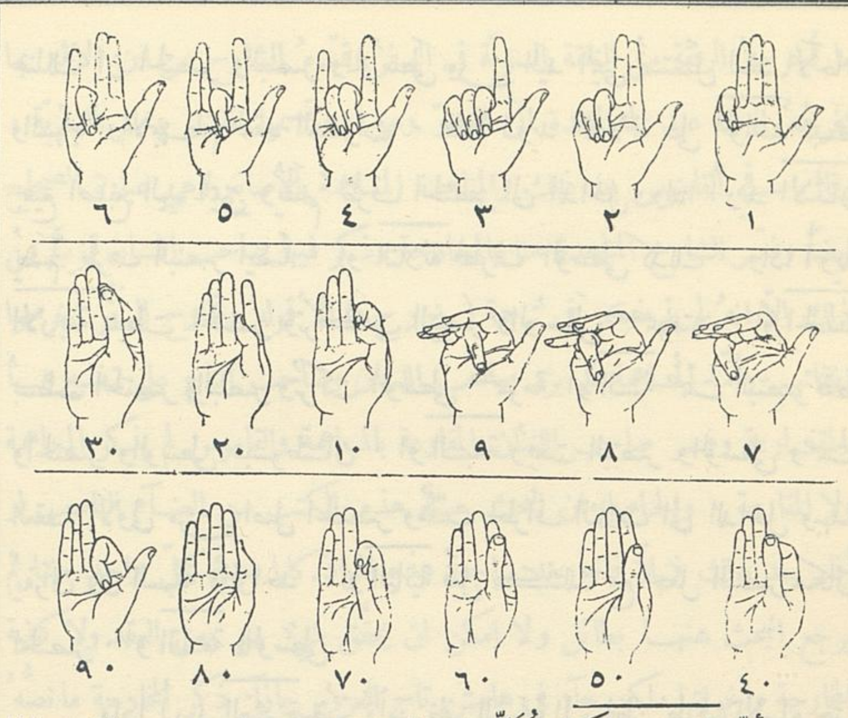
فيهما بل جآء في بعض الكتب في مكان النصب النصبة مصرّحاً فيهِ بالتآء. وحينئذٍ فأقرب ما تفسَّر بهِ العُقدة في هذا الموضع انها اسمٌ لموضع العَقد أُخذت من عقدة الحبل ونحوهِ كما أُخذ الفعل مما سيجيء وان لم يصرّح اللغويون باستعمالها في هذا المعنى. واما النُصبة فلم ترد في كتب اللغة الاّ بمعنى السارية وهي العمود فلا تنطبق على المقصود الا بتكلف. وقد سألنا بعض اكابر اهل العلم عن ضبط هذين اللفظين ومعناهما فلم يكن عندهم في ذلك غنآء ولم يزيدوا على قولهم هذا امرٌ قد انتهى الينا على هذا الوجه وغابت عنا اصولهُ. ولعلّ الاشبه في ضبطهما ان يكونا بفتح فسكون على انهما مصدران بمنزلة الخط والاشارة. واما معناهما فالاظهر أن المراد بالنصب اقامة ما يُستدَلّ بهِ من المنار والحدود واشباه ذلك مما يجري في هذا السبيل. واما العقد فلا شكَّ انهُ الحساب بالاصابع بان يشار بعقدها الى العدد على جهة التواطؤ على هيئات معلومة وقد اضرب المصنفون والشرّاح عن بيان ذلك في كتبهم كما سكت علمآء اللغة باجمعهم عن الكلام فيهِ مع ورود كثيرٍ منهُ في مصنفات اهل الادب وبنآء بعض المتداول من كلام العرب عليهِ وهو من العجب بمكان. ولقد تفقدنا كتب اللغة في هذا الموضع فلم نجد الاّ قول صاحب القاموس وعَقَد الحاسب حَسَب لم يزد عليهِ ولا تعرَّض الشارح لشيء فيهِ واغفل صاحب الصحاح وصاحب لسان العرب هذا المعنى من اصلهِ. على انهم كانوا يستعملون فنوناً من الحساب يبنونها على عقد الاصابع اشهرها ما يُعرَف عندهم بالمخارجة وهذه ايضاً لم ينقلوا في تفسيرها ما فيهِ غنآء قال في القاموس المخارجة ان يُخرِج هذا من اصابعهِ ما شآء والآخر مثل ذلك وهو كلامٌ لا يكاد يُفهَم لهُ معنى. وقال الشارح المخارجة المناهدة بالاصابع وهي عبارة الصحاح لم يزد عليها. وقال صاحب القاموس في (ن ه د) النِهد بالكسر

ما تُخرجهُ الرفقة من النفقة بالسويّة في السفر وقيّدهُ الشارح عن ابن الاثير بما يُخرجهُ الرفقة عند المناهدة الى العدوّ وهو ان يقسموا نفقتهم بينهم بالسويّة . وقال في القاموس بعد ذلك والمناهدة المساهمة بالاصابع وهي عبارة الصحاح ايضاً وفسّر الشارح المناهدة هنا بالمخارجة وذكر فيها صاحب اللسان قريباً من ذلك الّا انهُ لم يذكر في ترجمة (خ ر ج) الا قولهُ وتخارج السَفْر أخرجوا نفقاتهم . وأمّا المساهمة فلم يزد صاحب اللسان وصاحب التاج على تفسيرها بالمقارعة وفسر صاحب اللسان المقارعة بالمساهمة والقاموس لم يذكر المساهمة ولا المقارعة . والحاصل ان البحث في هذه الكتب من العنآء الناصب لو أفاد بعد ذلك فتيلاً فانهُ بعد مراجعة هذه الموادّ كلها في كلّ واحدٍ منها لم يرجع البحث عنها بطائل ولا امكن ان يحقَّق شيءٌ من معنى العقد ولا كيفية المخارجة واخواتها . لكن جآء في هامش تاج العروس بازآء ذكر المخارجة ما نصّهُ قد ذكر عاصم كيفية المخارجة فمن اراد معرفتها فليرجع الى الاوقيانوس . اه والحمد لله وهذا تعريب عبارة عاصم مع بعض تصرفٍ وايضاح وتصحيح ما فرط فيهِ من السهو قال

« المخارجة المساهمة بالاصابع ومثلها المناهدة وذلك ان العرب الأَولين لم يكونوا يعرفون الكتابة فكانوا اذا ارادوا قسمة شيء بينهم قسموهُ بحساب الاصابع وكذلك كانوا يفعلون في الضرب فيدلون بأصابع اليد اليمنى على الآحاد والعشرات وباصابع اليسرى على المئات والأُلوف . وقد ورد ذكر ذلك في كتب النحاة عند تعداد الدوالّ الاربع التي احداها العقود وقد سألت كثيرين من مشايخهم عن ذلك فلم اظفر منهم ببيانهِ الى ان وقعت اليّ الرسالة المخصوصة بهذا الشأن فاحببت تلخيص ما فيها افادةً للواقف على كتابي هذا وبالله المستعان . ومحصّل ما

هنالك ان الخنصر والبنصر والوُسطى من اليد اليمنى تُستعمل لعقد الآحاد والسبّابة والابهام لعقد العشرات · فاذا أُريد الدلالة على الواحد تُبسَط جميع اصابع اليد اليمنى ويُضمّ طرف الخنصر الى الداخل · واذا أُريد الاثنان يُضَمّ طرف البنصر ايضاً · او الثلاثة فطرف الوسطى كذلك · واذا أُريد الاربعة بُسِطت الخنصر وتُركت البنصر والوُسطى مضمومتين · او الخمسة بُسطت الخنصر والبنصر وتُركت الوسطى مضمومة · او الستة ضُمّت البنصر فقط والخنصر والوسطى مبسوطتان · او السبعة رُفِعت البنصر والوسطى وضمت العقدة الاولى من اصل الخنصر ومُدّت اطراف الثلاث الى الداخل وبهذا يُفرَق بين السبعة والواحد · او الثمانية فُعِل كذلك مع جعل البنصر مكان الخنصر · او التسعة فالوسطى

واذا أُريد العشرة ضُمّ رأس ظفر السبابة الى باطن طرف الابهام حتى تكونا على شكل حلقة · او العشرون أُدخِل طرف الابهام بين السبابة والوسطى · او الثلاثون ضُمّ باطن طرف السبابة الى باطن طرف الابهام كهيئة من يتناول ابرةً من الارض · او الاربعون رُفِعت الابهام على السبابة قليلاً بحيث يكون طرف السبابة الى يسار طرف الابهام · او الخمسون جُعِل باطن الابهام الى باطن السبابة · او الستون بسطت الابهام والسبابة وضُمّ باطن احداهما الى باطن الاخرى كهيئة من يمسك الوتر بعد ان يرسل عنه السهم · او السبعون جُعل رأس ظفر الابهام على باطن المفصل الاوسط من السبابة وضمّ عليه رأس السبابة · او الثمانون أُلصِقت الابهام بالسبابة بحيث يكون باطن رأس الابهام على ظاهر المفصل الاسفل من السبابة · او التسعون ضمّ رأس السبابة الى اصلها ضمّاً محكماً · وهذه صورة كلٍ من هذه العقود رسمناها على الولاء لزيادة الايضاح



أمّا الاعداد المركبة فيُدَلّ عليها بتركيب ما سبق من العقود فاذا أُريد الدلالة على ٣٣ مثلاً يضمّ باطن طرف السبابة الى باطن طرف الابهام كهيئة من يتناول ابرة من الارض على ما تقدم بيانهُ وهو عقد الثلاثين وتضمّ الاصابع الثلاث الأُخر دلالةً على عدد الثلاثة وقس على ذلك

أمّا عقد المئين فيكون باليد اليسرى بالسبابة والابهام فما دلّ باليمنى على عشرة دلّ باليسرى على مئة وذلك بأن يضمّ رأس ظفر السبابة الى باطن طرف الابهام على شكل حلقة . وكذلك عقد العشرين باليمنى يكون مئتين باليسرى وهلمّ جرًّا على هذا النحو الى ٩٠٠

وامّا عقد الالوف فيكون باليسرى بالخنصر والبنصر والوسطى على نحو ما تُعقَد الآحاد باليمنى فالواحد باليمنى ألف باليسرى والاثنان ألفان وهكذا الى ٩٠٠٠ اه

وبالوقوف على هذا يتأتى لك ان تفهم معنى ما أومأ اليهِ الثعالبيّ في فقه اللغة (باب ١٩ فصل ٨) وهو قولهُ اذا ضمّ اصابعهُ وجعل ابهامهُ على السبابة وأدخل رؤوس الاصابع في جوف الكفّ كما يعقد حسابهُ على ٤٣ فهو القبضة — فاذا أخذ ٣٠ فهو البزمة — فاذا اخذ ٤٠ وضمّ كفَّهُ على الشيء فهو الحفنة — فاذا اخرج الإبهام من بين السبابة والوسطى ورفع اصابعهُ على أصل الابهام كما يأخذ ٢٩ واضجع سبابتهُ على الابهام فهو القصع — فاذا رفع أصابعهُ ووضعها على أصل الابهام عاقداً على ٩٩ فهو الضفّ — فاذا جعل الابهام تحت السبابة كانهُ يأخذ ٦٣ فهو الضبث . اه

واذا تفقدت منقول كلامهم وجدت كثيراً من هذه العبارات وامثالها مما يقف الذهن من دونهِ حاسراً لانهُ من المواضعات التي لا يتأتى فهمها الاّ بعد الوقوف على شرحها بنصّ اربابها وارشاد المتلقّين لها عن ذويها . وهناك اشياء اخر من هذا الباب تدخل في باب المجاز وتستعمل في المعاني الخطابية بحيث لا يُستغنَى عن معرفة اصلها ليقع التعبير بها سديداً . وذلك نحو قولهم فلانٌ تُعقَد عليهِ الخناصر فانها من العبارات الجارية مجرى المثل وقد ذاع استعمالها في النظم والنثر وكثر تداولها في الكلام حتى بلغت الى حدّ الابتذال ومع ذلك لا تكاد ترى من يعرف حقيقة معناها سوى انهم يفهمون انهُ يراد بها الإطراء والتعظيم على الجملة . بل قد نصّ عليها بعض المصنفين بما كاد يخرجها الى غير حيّزها استعمالاً وتفسيراً فزعم انهُ يقال هذا الامر مما تُعقَد عليهِ الخناصر اي مما يُعتبَر ويُحتفَظ بهِ وانما هو كلام من اخذ بالقرينة المبهمة والاشارة البعيدة لعدم المامهِ بأصل هذا الاستعمال لان هذه العبارة ليست مما يوصف بهِ الامر ولا معنى فيها للاحتفاظ واذا رجعتَ الى مدلول عقد الخنصر الذي

هو عدد الواحد تبين لك الغرض من هذا التعبير وأن المقصود به وصف من عُقد عليه بانهُ واحدٌ في نوعه أو أن لهُ التقدم على سائر أمثاله فاذا ذُكروا عُدّ في أوّلهم . وقد ألمّ في تاج العروس بشيءٍ من هذا الّا انه لم يوفّهِ حقّ بيانهِ قال يقال بفلان تُثنى الخناصر أي يبتدأ به اذا ذُكر اشكالهُ وأنشدنا شيخنا عن الامام محمد بن المسناوي

وإذا الفوارس عُدّدت أبطالها عدُّوهُ في أبطالهم بالخنصرِ

قال أي أوّل شيءٍ يعدونهُ . اه . فقد كشف عن حقيقة المعنى لكنهُ لم يبين وجههُ بما يرشد المطالع الى أصلهِ الذي تقدم شرحهُ وفي هذا القدر من هذا الباب كفايةٌ والله أعلم

القاهرة — وجدنا بيتين في ديوان المتنبي يُروَيان لغيرهِ ايضاً احدهما قولهُ

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فأصبح لي عن كل شغلٍ بها شغلُ

فانهُ واردٌ في ديوان ابن الفارض في القصيدة التي مطلعها هو الحبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهلُ . والآخر قوله

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراضٌ لنا وعقولُ

وهو مرويٌّ في قصيدة السموأل المشهورة . فلمن يُنسَب كلٌّ من البيتين على الصحيح الياس هنا

الجواب — لا شك ان البيتين كليهما للمتنبي . اما الاول فلأنهُ مرويٌّ في جميع ما وقفنا عليه من نسخ ديوانه مما نُسِخ وشُرِح قبل ابن الفارض بزمان طويل فلا يحتمل ان يكون منحولاً ولكنهُ مقحمٌ في قصيدة ابن الفارض دسَّهُ النسّاخ هناك لمكان استحسانهِ وما فيهِ من الرقّة والمشابهة لديباجة شعرهِ وهم كثيراً ما يفعلون ذلك جهلاً بمقام العلم وآداب الرواية اذ العلم امانةٌ لا يجوز

التفريط بادآئها ونسبتها الى غير اربابها . ويجوز ان يكون ابن الفارض نفسهُ ازلهُ في شعرهِ على طريق الاستعانة المعروفة عند اهل البديع ويقوّي ذلك ورود هذا البيت في ديوانه المشروح بقلم الشيخ حسن البوريني والشيخ عبد الغني النابلسي فان مثل هذين الامامين لا يخفى عليهما انهُ دخيلٌ فيهِ وان لم ينبها عليهِ . واما البيت الثاني فلم نجدهُ في قصيدة السموأل في روايةٍ يوثق بها وفي تخميسها للصفيّ الحليّ الشاهد المَقنَع فراجعوهُ في محلّهِ ان احببتم والله اعلم

متفرقات

نور عطارد — راقب بعضهم نور عطارد في أثنآء شهر سبتمبر الغابر وهو آخذٌ في تباينهِ شرقاً وبحياله السنبلة وقلب الاسد وكان مُعظم نوره نحو العشرين من اوغسطس وذلك قبل بلوغه مُعظَم تباينه بمدة ١٤ يوماً وبعد اقترانه الاعلى بمدة ٢٩ يوماً فكان أنورَ من قلب الاسد . اما لونهُ فالأصفر النارنجي وهو نفس لون قلب الاسد الّا انهُ اشدّ اشباعاً

تسطُّح المرّيخ — قاس بعضهم هذا السيّار في ٢ و ١١ و ١٦ و ١٧ دسمبر الاخير فوجد قطرَيه على ما يأتي

القطر الاستوآئي	٩ً ′ ٥٣
القطر القطبي	٩ً ′ ٣٢
فيكون مبلغ التسطُّح	١/٤٧

آثار أدبية

يتيمة الزمان — هو اسم روايةٍ فكاهية ملخَّصة عن الفرنسوية بقلم حضرة الاديب المهذّب محمد افندي كرد علي بدمشق ابرزها في ثوبٍ عربيّ قد نسجهُ على أحسن منوالٍ من البيان وقلدها من فواصل سجعهِ ما أزرى بعقود الجمان في نحور الحسان فنثني على اجتهادهِ في خدمة العلم بما هو اهلهُ ونتمنى بلوغهُ في ذُرَى الفضل الى المكان الذي تؤهّلهُ له نجابتهُ ونبله

كتاب فلسفة الزواج — اهدت الينا ادارة جريدة لبنان نسخةً من هذا الكتاب من تأليف حضرة الاديب الياس افندي التويني تكلم فيه عما يتعلق بأمر الزواج وتربية البنين وحال المعيشة البيتية ومكان اهميتها من المجتمع المدني وبيان الشرائط التي تجب مراعاتها بين الزوجين الى غير ذلك مما يتعلق بهذا الشأن فجاء كتاباً وافياً غزير الفوائد حريًّا بالمطالعة والتأمل فنثني على مؤلفهِ ونحث من يهمهم ذلك على اقتنائهِ

ثناء — نرفع جميل شكرنا الى حضرات السادة النجباء والاخوان الادباء لما تفضلوا بهِ علينا من كتب التهنئة بصدور هذه المجلة وما تكرموا بهِ عليها من التقريظ سائلين كرمهم المعذرة لضيقها عن نشر تقاريظهم الحسان كما نشكر حضرات رصفائنا الكرام ارباب الجرائد العربية الغرّاء لما تفضلوا بهِ من ذكرها بالجميل راجين من جميعهم ان يلحظوها بعين الرضى والصفح عما لعلهم يرون فيها من العيوب وذلك حسبنا